المثقفين بيوت

نشرة شهرية تهتم بالشؤون الدينية
لمرتادي المساجد والحسينيات

تصدر عن شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية / وحدة المساجد والحسينيات / العدد ١ ١ لشهر شعبان سنة ١٤٣٥ هـ

- مسجد خطوة أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام
- إستفتاءات حول رؤية الهلال
- فائدة وجود الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في زمن الغيبة

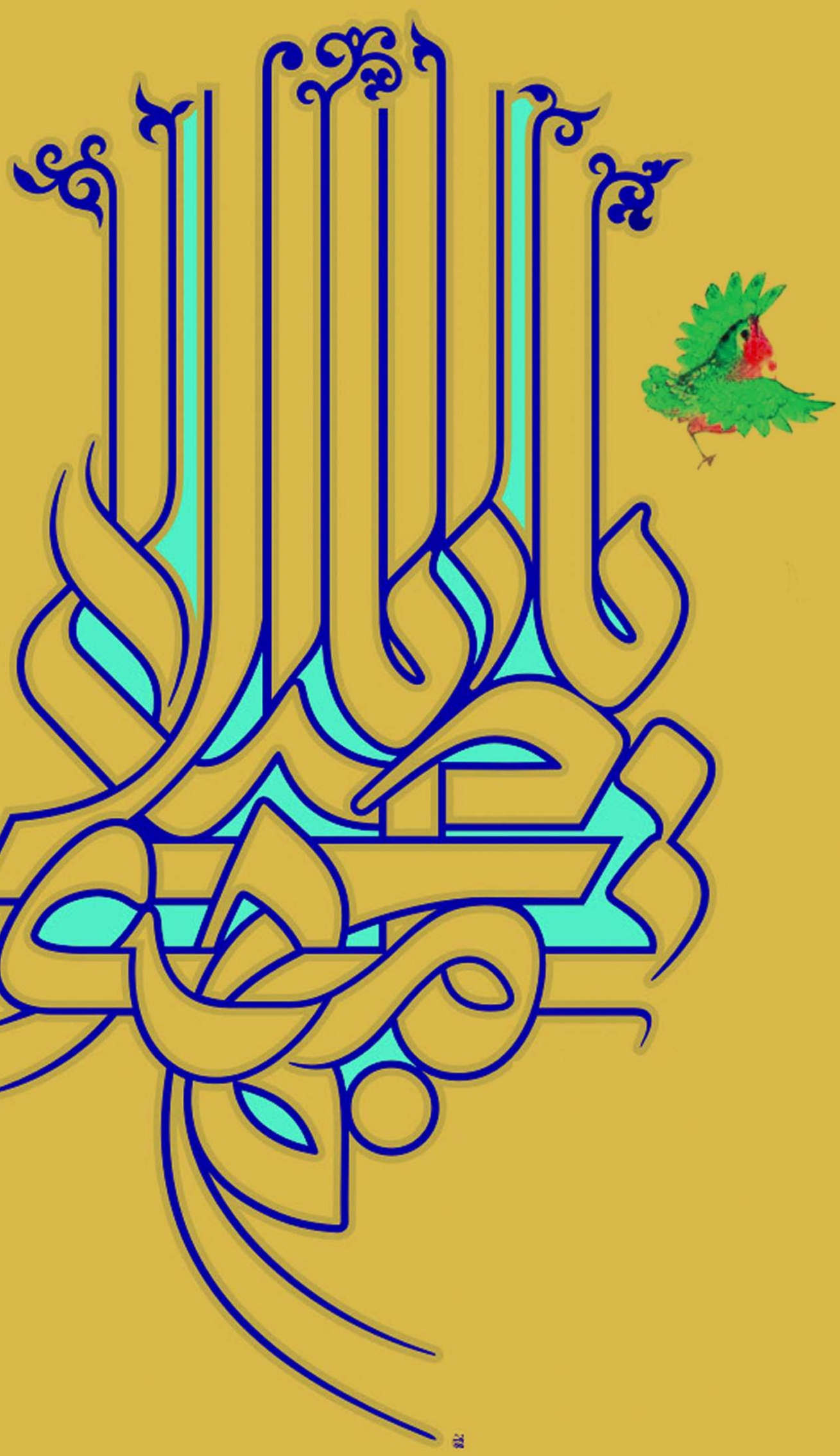

المتقين بيوت

العتبة العلوية المقدسة

إقـــرأ في هذا العـــدد

- فضائل وكرامات: يا حارِ همدان مَن يمُت يرني ٤
- وقفة فقهية: إستفتاءات حول رؤية الهلال ٦
- تفسير القرآن: المؤمنون لا يشركون ٨
- مساجدنا: مسجد خطوة أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام ١٠
- محاسن الكلم: النهي عن القول بغير علم (من كتاب الكافي) / الحلقة ٢ ..... ١٢
- عقائدنا: فائدة وجود الإمام المهدي (عج) في زمن الغيبة ١٤
- رجال حول الإمام: المقداد منّا أبغض الله مَن أبغضه ١٦
- آداب إسلامية: الأدب مع القرآن الكريم ١٨
- مناسبات الشهر: شعبان المعظم ٢٠
- فاعتبروا يا أولي الأبصار: قصة صياد السمك ٢٢

قسم الشؤون الدينية / شُعبَة التَبليغ
www.alataba.net/vb
www.imamali-a.com
tableegh@imamali.net

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (عجبت لمن لا يملك أجله كيف يطيل أمله)

يا حارِ همدان من يمت يرني

ورد في تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قيل له: يا رسول الله ففي القبر نعيم وعذاب؟ قال: إي والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق نبياً، وجعله زكياً، هادياً مهدياً، وجعل أخاه علياً بالعهد وفياً، وبالحق ملياً ولدى الله مرضياً، وإلى الجهاد سابقاً، ولله في أحواله موافقاً، وللمكارم حائزاً، وبنصر الله على أعدائه فائزاً، وللعلوم حاوياً، ولأولياء الله موالياً، ولأعدائه مناوياً وبالخيرات ناهضاً، وللقبائح رافضاً وللشيطان مخزياً، وللفسقة المردة مُقصياً ولمحمد صلى الله عليه وآله نفساً، وبين يديه لدى المكاره جُنة وتُرساً، آمنت به أنا وأخي علي بن أبي طالب عليه السلام، عند رب الأرباب، المفضل على أولي الألباب الحاوي لعلوم الكتاب، زين من يوافي يوم القيامة عرصات الحساب بعد محمد صلى الله عليه وآله، صفي الكريم العزيز الوهاب إن في القبر نعيما يوفر الله به حظوظ أوليائه وإن في القبر عذابا يشدد الله به على أعدائه.

إن المؤمن الموالي لمحمد وآله الطيبين عليهم السلام، المتخذ لعلي بعد محمد صلى الله عليه وآله إمامه الذي يحتذي مثاله، وسيده الذي يصدق أقواله، ويُصوِّب أفعاله، ويطيعه بطاعة من يندبه من أطائب ذريته لأمور الدين وسياسته، إذا حضره من أمر الله تعالى ما لا يُردّ، ونزل به من قضائه ما لا يُصدّ، وحضره ملك الموت وأعوانه، وجد عند رأسه محمداً صلى الله عليه وآله رسول الله (سيد النبيين) من جانب، ومن جانب آخر علياً عليه السلام سيد الوصيين، وعند رجليه من جانب الحسن عليه السلام سبط سيد النبيين، ومن جانب آخر الحسين عليه السلام سيد الشهداء أجمعين، وحواليه بعدهم خيار خواصهم ومحبيهم الذين هم سادة هذه الأمة بعد ساداتهم من آل محمد، فينظر إليهم العليل المؤمن، فيخاطبهم بحيث يحجب الله صوته عن آذان حاضريه كما يحجب رؤيتنا أهل البيت ورؤية خواصنا عن عيونهم، ليكون إيمانهم بذلك أعظم ثواباً لشدة المحنة عليهم فيه، فيقول المؤمن: بأبي أنت وأمي يا رسول رب العزة، بأبي أنت وأمي يا وصي رسول رب الرحمة، بأبي أنتما وأمي يا شبلي محمد وضرغاميه، ويا ولديه وسبطيه، ويا سيدي شباب أهل الجنة المقربين من الرحمة والرضوان، مرحبا بكم يا معاشر خيار أصحاب محمد وعلي وولديهما، ما كان أعظم شوقي إليكم، وما أشد سروري الآن بلقائكم، يا رسول الله هذا ملك الموت قد حضرني، ولا أشك في جلالتي في صدره لمكانك ومكان أخيك مني، فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله: كذلك هو، ثم يُقبِل رسول الله صلى الله عليه وآله على ملك الموت فيقول: يا ملك الموت استوص بوصية الله في الإحسان إلى مولانا وخادمنا ومحبنا ومؤثرنا، فيقول له ملك الموت: يا رسول الله مُره أن ينظر إلى ما قد أعد الله له في الجنان، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وآله: انظر إلى العلو، فينظر إلى ما لا تحيط به الألباب، ولا يأتي عليه العدد والحساب، فيقول ملك الموت: كيف لا أرفق بمن

وعنه عليه السلام : (عجبت لمن يجهل نفسه كيف يعرف ربه)

ذلك ثوابه، وهذا محمد وعترته زواره، يا رسول الله لولا أن الله جعل الموت عقبة لا يصل إلى تلك الجنان إلا من قطعها، لما تناولت روحه، ولكن لخادمك ومحبك هذا أسوة بك وبسائر أنبياء الله ورسله وأوليائه الذين أذيقوا الموت بحكم الله تعالى، ثم يقول محمد صلى الله عليه وآله : يا ملك الموت هاك أخانا قد سلمناه إليك فاستوص به خيراً، ثم يرتفع هو ومن معه إلى ربض الجنان، وقد كشف عن الغطاء والحجاب لعين ذلك المؤمن العليل، فيراهم المؤمن هناك بعد ما كانوا حول فراشه، فيقول: يا ملك الموت الوحا، الوحا تناول روحي ولا تلبثني ها هنا، فلا صبر لي عن محمد وعترته وألحقني بهم، فعند ذلك يتناول ملك الموت روحه فيسلها، كما يسل الشعرة من الدقيق، وإن كنتم ترون أنه في شدة فليس في شدة، بل هو في رخاء ولذة، فإذا أدخل قبره وجد جماعتنا هناك، فإذا جاء منكر ونكير قال أحدهما للآخر: هذا محمد وهذا علي والحسن والحسين وخيار صحابتهم بحضرة صاحبنا فلنتضع لهم، فيأتيان ويُسلِّمان على محمد صلى الله عليه وآله سلاماً تاماً منفرداً، ثم يُسلِّمان على علي سلاماً تاماً منفرداً، ثم يُسلِّمان على الحسن والحسين سلاماً يجمعانهما فيه، ثم يُسلِّمان على سائر من معنا من أصحابنا، ثم يقولان: قد علمنا يا رسول الله زيارتك في خاصتك لخادمك ومولاك، ولولا أن الله يريد إظهار فضله لِمَن بهذه الحضرة من أملاكه ومن يسمعنا من ملائكته بعدهم لما سألناه، ولكن أمر الله لا بد من امتثاله، ثم يسألانه فيقولان: من ربك وما دينك ومن نبيك ومن إمامك وما قبلتك ومن إخوانك؟ فيقول: الله ربي، ومحمد نبيي، وعلي وصي محمد إمامي، والكعبة قبلتي والمؤمنون الموالون لمحمد وعلي وآلهما وأوليائهما، والمعادون لأعدائهما إخواني، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأن أخاه علياً ولي الله، وأن مَن نصبهم للإمامة من أطائب عترته وخيار ذريته خلفاء الأمة وولاة الحق، والقوامون بالعدل، فيقولان: على هذا حييت، وعلى هذا مت، وعلى هذا تبعث إن شاء الله تعالى، وتكون مع من تتولاه في دار كرامة الله ومستقر رحمته، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : وإن كان لأوليائنا معادياً، ولأعدائنا موالياً، ولأضدادنا بألقابنا ملقباً، فإذا جاءه ملك الموت لنزع روحه مَثّل الله عز وجل لذلك الفاجر سادته الذين اتخذهم أرباباً من دون الله، عليهم من أنواع العذاب ما يكاد نظره إليهم يهلكه، ولا يزال يصل إليه من حر عذابهم ما لا طاقة له به، فيقول له ملك الموت: يا أيها الفاجر الكافر تركت أولياء الله إلى أعدائه، فاليوم لا يغنون عنك شيئاً، ولا تجد إلى مناص سبيلاً، فيرد عليه من العذاب ما لو قسم أدناه على أهل الدنيا لأهلكهم، ثم إذا أدلي في قبره رأى باباً من الجنة مفتوحاً إلى قبره يرى منه خيراتها، فيقول له منكر ونكير: انظر إلى ما حُرِمتَه من تلك الخيرات، ثم يفتح له في قبره باب من النار يدخل عليه منه من عذابها، فيقول: يا رب لا تُقِم الساعة يا رب لا تُقِم الساعة.

وعنه عليه السلام: (عجبت لمن علم أنه منتقل عن دنياه كيف لا يحسن التزود لآخرته)

وفق فتاوى سماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله الوارف)

السؤال: ما معنى الاستهلال؟

الجواب: أي مشاهدة الأفق طلبا لرؤية الهلال.

السؤال: هل يجب التأكد من ثبوت رؤية هلال شهر رمضان؟

الجواب: لا يجب التحقق بل يصوم بنية شعبان إلا إذا ثبت له شهر رمضان.

السؤال: ما هو المعتبر في ثبوت رؤية هلال شهر رمضان المبارك؟

الجواب: يعتبر في وجوب صيام شهر رمضان ثبوت الهلال بأحد هذه الطرق:

١- أن يراه المكلّف نفسه.

٢- أن يتيقّن أو يطمئنّ لشياع أو نحوه برؤيته في بلده، أو فيما يلحقه حكماً.

٣- مضي ثلاثين يوماً من شهر شعبان.

٤- شهادة رجلين عادلين بالرؤية، وتعتبر فيها وحدة المشهود به، فلو ادّعى أحدهما الرؤية في طرف وادّعى الآخر رؤيته في طرف آخر لم يثبت الهلال بذلك، كما يعتبر فيها عدم العمل أو الاطمئنان باشتباههما وعدم وجود معارض لشهادتهما - ولوحكماً - كما لو استهلّ جمع ولم يدع الرؤية إلاّ عدلان ولم يره الآخرون وفيهم عدلان يماثلانهما في معرفة مكان الهلال وحدّة النظر مع فرض صفاء الجّو وعدم وجود ما يحتمل أن يكون مانعاً عن رؤيتهما، ففي مثل ذلك لا عبرة بشهادة العدلين، ولا يثبت الهلال بشهادة النساء إلا إذا حصل اليقين أو الاطمئنان به من شهادتهنّ.

السؤال: إذا حلّت الليلة الثلاثون من شهر شعبان ولم ير الهلال فهل يجوز صوم نهارها؟

الجواب: يجوز صومه لا بنية رمضان بل بنية اليوم الأخير من شعبان أو بنية القضاء مثلاً.

السؤال: ما هو المقصود باتحاد الأفق؟

الجواب: المراد في مسألة ثبوت الهلال أن يكون إمكان رؤية الهلال في أفق ملازماً لإمكانها في البلد الاخر لولا المانع من غيم ونحوه ويكون ذلك بالنسبة للبلاد الغربية والشمالية والجنوبية لبلد الرؤية مع عدم ابتعاد المكانين في خطوط العرض كثيراً، واما إذا ثبت في الغرب فلا يقتضي ثبوته في الشرق إلا أن يحرز ذلك ولو من جهة، بقائه في أفق المكان الأول مدة أطول مما يختلف به مع المكان الثاني من طلوع الشمس وغروبها.

السؤال: ما هو ملاك قرب وبعد البلدان عندكم من حيث رؤية الهلال ؟

الجواب: ليس الاعتبار في الهلال بقرب البلاد وبعدها بل المعيار بوحدة الأفق بأن تكون رؤية الهلال في بلاد تلازم رؤيته في البلاد الأخرى لولا وجود الموانع من الغيوم ونحوها فإذا رؤي الهلال في بلد فإنه يثبت في البلاد التي تقع غرب بلد الرؤية إذا لم تكن بعيدة كثيراً بحسب خطوط العرض ولكنه لا يفيد البلاد الواقع في شرق بلد الرؤية إلا إذا أحرزت الملازمة المذكورة. كما إذا بقي الهلال في أفق بلد الرؤية مدّة تزيد على مدّة الاختلاف بين الأفقين.

السؤال: إذا ثبت هلال شهر رمضان أثناء اليوم فماذا يفعل؟

الجواب: إذا ثبت قبل الظهر ولم يمارس مفطراً وجب الصوم ولا قضاء عليه وإلاّ وجب قضاؤه وإذا كان الثبوت بعد الظهر ولم يصدر منه مفطر فالأحوط وجوباً الصوم والقضاء. وإذا كان قد أكل شيئاً فالأحوط وجوباً له الإمساك بقية اليوم في الفرضين.

السؤال: لوثبت الهلال في الشرق كإيران فهل يثبت الهلال في الغرب كالعراق لأنها غرب إيران؟ ما رأي السيد الخوئي قدس سره والسيد السيستاني (دام ظله)؟

الجواب: نعم مع عدم الابتعاد لخطوط العرض كثيراً، ويثبت عند المرحوم السيد الخوئي قدس سره مطلقاً.

السؤال: ما المقصود باتحاد الأفق في ثبوت

وعنه عليه السلام: (عجبت لغافل والموت يطلبه)

الهلال، مع ذكر مثال لذلك يوضحه؟ وهل يذهب السيدان الخوئي قدس سره والسيستاني إلى اتحاد الأفق في ثبوت الهلال؟

الجواب: من يعتبر وحدة الأفق في ثبوت الهلال مثل سماحة السيد السيستاني فهو يرى بأنّ رؤية الهلال في مكان تثبت انه ليلة أول الشهر فيه وفي كل بلد يستلزم ظهوره هناك، وظهوره هناك بنحو قابل للرؤية بالعين المجردة كما إذا رؤي الهلال في الشرق فإنه يثبت للغرب مع عدم الابتعاد بين المكانين في خطوط العرض كثيراً، وأما السيد الخوئي قدس سره فكان يرى أن رؤية الهلال في مكان يكفي بثبوته في بقية الأمكنة أيضاً.

السؤال: هل يجوز لي أخذ بداية الشهر أو نهايته من الفلكيين؟ علما بأنني أطمئن لهم ولعلمهم؟

الجواب: ليس هناك ترديد في ما يصل إليه الفلكي وهو وقت ولادة الهلال فهو أمر دقيق، إلا أنه لا يكفي في ترتب الحكم الشرعي ولا في ابتداء الشهر القمري عرفا فإنه إنما يبدأ من الليلة التي يمكن رؤية الهلال فيها بالعين المجردة وهذا مما لا يمكن للفلكي الجزم به.

السؤال: وجّه لسماحة السيد السيستاني هذا السؤال (س٥٨٣ ص٢١٣ ج١ من كتاب الفوائد الفقهية) وكان الجواب هو((في شهادة العدلين بالهلال لابد ان تكون شهادتهما غير معارضة حكما بشهادة أخرى وإلا فلا يؤخذ بها، فإذا اخبر الفلكيون بعدم كون الهلال قابلا للرؤية بالعين المجردة وحصل الوثوق بصحة ما يقولون فهذا يعني الوثوق بوقوع العدلين بالخطأ والاشتباه فتترك شهادتهما لذلك)).

وعليه وجهت بعض الأسئلة وهي:

١- الفلك من العلوم الظنية أما الرؤية بالعين المجردة فتكون يقينية فكيف يكون الظن ملغياً لليقين؟

٢- لو كان هناك أكثر من شاهدين عادلين بالرؤية (أربعة أو ستة أو ثمانية شهود بالرؤية) فهل هذا يعني وقوعهم بالخطأ والاشتباه وعليه تترك شهادتهم؟

٣- ما هي المراصد الفلكية التي يمكن الاعتماد عليها؟

٤- لو تفرد فلكي في قول وهو كون الهلال قابلاً للرؤية ومجموعة من الفلكيين أجمعوا بعدم كون الهلال قابلاً للرؤية فهل يكون ذلك داخلا تحت وثوق العدلين بالخطأ والاشتباه؟

٥- نلاحظ في كثير من الإجابات وكثير من المسائل أن الركيزة الأساسية في إثبات الهلال هو الاطمئنان. السؤال هو: في حالة إذا لم يحصل الاطمئنان بقول الفلك بعدم كون الهلال قابلاً للرؤية بالعين المجردة وفي مقابله حصل الاطمئنان بقول الشاهدين إضافة إلى العدالة، فهل يؤخذ بقول الشهود أم لا؟

٦- إذا لم يحصل الوثوق بقول الفلكيين بعدم الرؤية كما هو الحاصل عند بعض الفضلاء حفظهم الله وكثير من المؤمنين فما هو الحكم؟

العبرة في بداية الشهر شرعاً بظهور الهلال في الأفق على نحو قابل للرؤية بالعين المجردة

الجواب:

١- ليس المراد ما يوجب الظن من توقعات الفلكيين بل ما يستنتج من المحاسبات الرياضية التي لا تخطئ قيد أنملة كإخبارهم بوقوع الكسوف والمفروض في الجواب المذكور حصول الوثوق بقول الفلكي مما يستلزم الوثوق بخطأ الشهود والرؤية بالعين ليست دائما يقينية وخصوصا في مثل الهلال وعلى كل حال فالمفروض عدم حصول اليقين بشهادتهم وإن كانوا هم متيقنين.

٢- يمكن الخطأ في العشرة أيضاً.

٣- تبين الجواب.

٤- المناط حصول الوثوق.

٥- يؤخذ بقولهم قطعا.

٦- لا يؤخذ به قطعا.

السؤال: ما حكم مَن أفطر قبل العيد على الشياع الغير ثابت شرعاً وهو جاهل بالحكم بوجوب الإعادة، فهل يجب القضاء والكفارات؟

الجواب: إذا كان واثقاً حين ذاك بجواز الإفطار له لم تلزمه الكفارة.

السؤال: يقوم علم الفلك في يومنا هذا على أسس علمية متينة وحسابات رياضية دقيقة، حيث إن احتمال نسبة الخطأ فيها قد تكون لا تذكر، حيث يخبر الفلكيون بخسوف القمر وكسوف الشمس لعدة سنوات مقبلة بدقة متناهية وغيرها من الأمور الأخرى، السؤال: لماذا لا يعتدّ بقول هؤلاء الفلكيين في ثبوت الهلال، عندما يفتي هؤلاء الفلكيون بخروج القمر من المحاق وولادته إلّا أنه لا يمكن رؤيته، وهل الأساس فُي ثبوت الهلال ولادة الهلال أم رؤيته ؟

الجواب: هنا عدة أمور:

أ) إن إخبار الفلكيين عن الكسوف والخسوف والمحاق وولادة الهلال ونحو ذلك يبتني على محاسبات رياضية كانت معروفة منذ مئات السنين ولا يقع فيها خطأ عادة إلّا ممن لا يكون خبيراً بإجرائها، وعلى هذا الأساس يحصل الاطمئنان عادة من قول الفلكيين أن القمر في الشهر الفلاني يدخل في المحاق في الساعة كذا ويخرج منه في الساعة كذا.

ب) العبرة في بداية الشهر شرعاً بظهور الهلال في الأفق على نحو قابل للرؤية بالعين المجردة لولا السحاب ونحوه من الموانع، فلا يكفي العلم بوجوده بعد ولادته ولكن على نحو غير قابل للرؤية مطلقاً أو على نحو غير قابل للرؤية إلّا بالأدوات المقرّبة والرصد المركّز، ومن هنا لا ينفع إخبار الفلكي عن ولادة الهلال وخروجه من المحاق في ثبوت أول الشهر، نعم إذا أخبروا عن عدم ولادة الهلال بعد الغروب أو أخبروا أن له من العمر ساعة أو ساعتين مثلاً أوجب ذلك - عادة- الاطمئنان بعدم صحة الشهادة على رؤيته في تلك الليلة.

ج) هناك اختلاف كثير بين الفلكيين في خصوصيات الهلال الذي يكون قابلاً للرؤية بالعين المجردة - لو لا العوائق الخارجية - من حيث نسبة القدر المنار منه ودرجة ارتفاعه عن الأفق ومقدار بُعده عن الشمس وغير ذلك من الخصوصيات ولا يمكن الاعتماد على قول أي منهم في هذا المجال، والعبرة بما يحصل من الاطمئنان بملاحظة مجموع الخصوصيات والقرائن.

وعنه عليه السلام : (عجبت لمن عرف شدة انتقام الله وهو مقيم على الإصرار)

المؤمنون لا يشركون

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ سورة المؤمنون/ ٥٩

لا يزال الكلام في صفات المؤمنين في سورة المؤمنين وقد تحدثنا في العدد السابق عن صفة الإيمان بآيات الله تعالى في ضلال قوله تعالى: ﴿والذين هم بآيات ربهم يؤمنون﴾ وفي هذا العدد نتحدث عن صفة أخرى للمؤمنين وهي أنهم لا يشركون بالله سبحانه حيث تأتي بعد مرحلة الإيمان بآيات الله مرحلة تنزيهه عن كل شبهة وشريك، فتقول الآية الشريفة:﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾، ونفي الشرك جاء نتيجة للإيمان بآيات الله تعالى، وهو معلول الإيمان، أي أن الإيمان بالله يشير إلى صفاته تعالى الثبوتية، ونفي الشرك يشير إلى صفاته تعالى السلبية. وعلى كل حال فقد تضمنت هذه العبارة نفي أنواع الشرك، سواء كانت جلية أم خفية.(الأمثل١٠/ ٤٧٠)

فالإيمان بآياته هو الذي دعاهم إلى نفي الشركاء في العبادة فإن الإيمان بها إيمان بالشريعة التي شرّعت عبادته تعالى والحجج التي دلت على توحّده في ربوبيته وإلوهيته.

على أن جميع الرسل والأنبياء عليهم السلام إنما جاؤوا من قِبَله وإرسال الرسل لهداية الناس إلى الحَق الذي فيه سعادتهم من شؤون الربوبية، ولو كان له شريك لأرسل رسولاً، ومن لطيف كلام علي عليه أفضل السلام قوله: (لو كان لربك شريك لأتتك رسله). الميزان ١٥/ ٤٠)

ملاك التوحيد والشرك:

ذهب بعض المتصوفة والدراويش في وصف أقطابهم وشيوخ طرقهم إلى حد الشرك، كما هو ظاهر، وبذلك هدموا حدود التوحيد والشرك وتجاوزوا معاييرهما حيث تفوح من أكثرها رائحة الشرك الجلي فضلا عن الخفي ولا تنسجم مع أسس (التوحيد القرآني) بحال ولقد كانت نظرة هذه الفرقة إلى مفهوم الشرك نظرة خاصة وشاذة جداً، حيث راحت تعد الكثير من أنواع الشرك القطعي بأنه (عين التوحيد)!! وبذلك ضيّقوا (دائرة الشرك) أيما تضييق !!

في مقابل هذه الفرقة -تماماً- وقف الوهابيون، فهم توسعوا في فهم حقيقة الشرك وإطلاقه، توسعاً يكاد يشمل كل حركة وسكون وكل تصرف يصدر من أهل التوحيد تجاه أولياء الله بهدف الاحترام والتكريم حيث اعتبره الوهابيون عين الشرك، والحيدة عن جادة التوحيد!! وسمّوا فاعله مشركاً، حتى أن بعضهم يقول في تحديد الشرك: (إن كل تعلق بغير الله شرك).

والحق أنه لو كان معنى الشرك والتوحيد هو كما ما يراه الوهابيون ويقولون به، إذاً لما أمكن أن نمنح لأي أحد تحت هذه السماء وفوق هذه الأرض (هوية الموحد) ولما استحق أحد أن تطلق عليه تلك الصفة أبداً .

والحق أنه لو كان معنى الشرك هو هذا الذي يقولونه إذن ولا بد أن نعتبر كل البشر على هذه الأرض مشركين، بلا استثناء، حتى الوهابيين أنفسهم، لأنهم يتوصلون إلى تحقيق مآربهم وتنفيذ حاجاتهم عن طريق التعلّق والتوسّل بالأسباب مع أنه لا يمكن أن يقال إن الأسباب والعلل هي الله، بل هي غير الله، فينتج هذا أن يكون تعلقهم بالأسباب وتوسلهم بالعلل توسلا بغير الله، وتعلقا بسواه! في حين أن هذا

وعنه عليه السلام : (عجبت لمن عرف ربه كيف لا يسعى لدار البقاء)

النوع من التعليقات والتشبثات ليست لا تعد شركاً فقط بل هي (عين التوحيد وصميمه) لأن حياة الإنسان في هذه الدنيا مشدودة إلى الأسباب والعلل، غاية الأمر أن عليه أن لا يعتقد لهذه الأسباب والعلل أي استقلال وانقطاع عن الإرادة الإلهية العليا، بل لا بد أن يعتقد بتأثيرها تبعا لمشيئته سبحانه، نعم إن التعلق بالأسباب والعلل الظاهرية المادية قد يكون (عين التوحيد) من جهة، و(عين الشرك) من جهة أخرى ، فعندما لا نعتقد بأي استقلال لهذه الأسباب -عند تشبثنا بها- ولا نعتبر تأثيرها في مصافّ الإرادة الإلهية وفي عرضها بل نعتقد بأنها تقع في ضمن السلسلة التي تنتهي -بالمآل- إلى الله تعالى، فلا نخرج عن إطار التوحيد، وليس في (الفكر التوحيدي) من مناص إلا الاعتقاد بمثل هذا الأمر وعلى هذا النمط .

أما عندما نرى لهذه الأسباب والعلل استقلالاً، ونعتقد بإمكان تأثيرها بمعزل عن الإرادة الإلهية، لا بنحو التبعية ففي هذه الصورة سنكون معتقدين بخالقين، ومؤثرين غير الله تعالى!!

إن على الموحد أن يحافظ على الاعتقاد بوجود قانون (العلية والسببية) الحاكم في الظواهر الطبيعية، وإنٍ هذه الأسباب والعلل لا تملك استقلالاً في تأثيرها مطلقاً بل هي مفتقرة إلى الله في تأثيرها كما في وجودها وبقائها .

إن الموحد رغم أنه يعرف هذه الحياة ويتعامل معها على أساس الاعتقاد بوجود قانون (العلية والسببية) الحاكم في الظواهر الطبيعية إلا أنه يعتقد أنٍ هذه الأسباب والعلل لا تملك استقلالاً في تأثيرها مطلقاً بل هي مفتقرة إلى الله تعالى في وجودها وبقاءها وتأثيرها.

فالسبب الأول هو الله سبحانه، وأما الأسباب الأخرى فهي مخلوقة له خاضعة لإرادته واقعة في طول مشيئته لا في عرضها.

إن هذا هو الفارق الأساسي بين الموحد والمادي، فالثاني يعتقد بأصالة العلل المادية واستقلالها في التأثير في حين يسندها الموحد إلى الله خالق كل شيء، مع أنه يعترف بقانون العلية الحاكم في هذا الكون.

التوسل بالأسباب غير الطبيعية :

إلى هنا تبين أن النظرة إلى الأسباب الطبيعية بلحاظ أنها علل غير مستقلة عين التوحيد، وبلحاظ استقلالها في التأثير عين الشرك، وأما غير الطبيعية من العلل فحكمها حكم الطبيعية، حيث إن التوسل على النحو الأول عين التوحيد وعلى النحو الثاني عين الشرك حرفا بحرف، غير أن الوهابيين جعلوا التوسل بغير الطبيعية من العلل توسلاً ممزوجاً بالشرك.

ولكن هذا الاعتقاد باطل لأن الإنسانٍ إذا اعتقد بأن لبرئه من المرض مثلا طريقين أحدهما طبيعي والآخر غير طبيعي، وقد سلك الطريق الأول ولم يصل إلى مقصوده فعاد يتوسل إلى مطلوبه بالتمسك بالطريق الثاني كمسح المسيح عليه السلام يديه عليه، فلا يعد اعتقاده هذا وطلبه منه شركاً فإنه لا ينافي التوحيد ولا يضاده بل يلائمه كمال الملائمة فإنه يعتقد بأن الله الذي منح الأثر للأدوية الطبيعية أو جعل الشفاء في العسل هو الذي منح المسيح قدرة يمكنه أن يبرئ المرضى بإذنه سبحانه، ومعه كيف يعد اعتقاده هذا شركا؟! فإنه لا يعتقد باستقلال شيء منها في التأثير من دون أن يكون مستنداً إلى خالقه وبارئه، ولا فرق في ذلك بين التوسل بالأسباب الطبيعية وغيرها فإن نسبتها إلى الله سبحانه في كون التأثير بإذنه سواسية، إذ أي فرق بين الاعتقاد بأن الله وهب الإشراق للشمس والإحراق للنار وجعل الشفاء في العسل، وبين إقداره وليّه مثل المسيح وغيره على البرء، أو إعطاءه للأرواح المقدسة من أوليائه قدرة على التصرف في الكون وإغاثة الملهوف.

إن التوسل بالأرواح المقدسة والاستمداد بالنفوس الطاهرة الخالدة عند ربها نوع من التمسك بالأسباب في اعتقاد المتمسك وقد قال سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾(المائدة-٣٥) وليست الوسيلة منحصرة في العمل بالفرائض والتجنب عن المحرمات بل هي أوسع من ذلك فتوسل ولد يعقوب عليه السلام بأبيهم كان ابتغاء للوسيلة أيضا.

هل الحياة والموت يدخلان في مفهومي التوحيد والشرك ؟

إن استمداد الإنسان بالإنسان الآخر أمر واقع في الحياة البشرية، وجائز عند جميع الأمم والقرآن حافل بنماذج كثيرة من استمداد البشر بمثله إذ يقول: ﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه﴾ القصص/١٥.

غير أن الوهابيين يقولون: إن التوسل بالأنبياء والأولياء جائز في حال حياتهم دون مماتهم.

إن الوهابيين يسلّمون أن الله سبحانه أمر العصاة بأن يذهبوا إلى النبي صلى الله عليه وآله ويطلبوا منه أن يستغفر لهم أخذا بظاهر قوله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما﴾النساء/٦٤، كما يسلّمون أن أولاد يعقوب طلبوا من أبيهم أن يستغفر لهم كما في قوله تعالى: ﴿قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين﴾يوسف/٩٧، غير أنهم يقولون إن هذين الموردين إنما ينطبقان مع أصول التوحيد لأجل حياة المستغاث، وأما إذا سُئل ذلك في مماته عد شركاً .

ولكن الحق أنه لا دخالة لحياة المستغاث به ومماته في تحديد الشرك أو التوحيد مطلقاً، لأن ملاك التوحيد والشرك لم يفوض إلينا بل الميزان في الشرك هو الاعتقاد باستقلال الفاعل في ذاته وفعله والتوجّه به كذلك. كما أن الاعتقاد بعدم استقلاله في ذاته وصفاته وأفعاله يعد اعترافاً بعبوديته ويعد التوجه به تكريماً واحتراماً .

وعليه فلا تكون استغاثة شيعة موسى عليه السلام مطابقة للتوحيد إلا في صورة واحدة وهي: أن لا يعتقد معها باستقلال موسى في التأثير، بل يجعل قدرته، وتأثيره في طول القدرة الإلهية ، ومستمدة منه تعالى إن نفس هذه الحقيقة جارية في الاستمداد، والاستغاثة بالأرواح المقدسة "العالمة الشاعرة حسب أخبار القرآن وتأييد العلوم الحديثة.

التوحيد والشرك في القرآن
للشيخ السبحاني ص١٣٥-١٤٦ بتصرف

وعنه عليه السلام : (عجبت لمن ينشد ضالته وقد أضل نفسه فلا يطلبها)

مسجد خطوة أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام

يعد المسجد الوحدة العمرانية الأولى في المدينة الإسلامية، فبعد هجرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله إلى يثرب كان أول ما اتخذه صلى الله عليه وآله بناء المسجد الذي عرف بالمسجد النبوي، ثم بعد ذلك صار بناء المسجد الإنجاز الأول عند تمصير أي مدينة إسلامية.

وكان المسجد الثاني الذي بني في الإسلام بعد المسجد النبوي هو مسجد البصرة حيث تم بناؤه سنة ١٤هـ بعد البصرة على يد القائد عتبة بن غزوان، وبعد بنائه بنيت حوله المساكن والخطط، وهو أحد المساجد التي ورد الاعتكاف فيها، وهي أربعة: المسجد الحرام، ومسجد المدينة، ومسجد الكوفة، ومسجد البصرة.

إعمار المسجد

كان أول مسجد خُط خارج الجزيرة العربية، ومنارته أول منارة ارتفعت في سماء العالم الإسلامي، وقد مر المسجد بمراحل عمرانية تدل على علو منزلته في نفوس البصريين:

المرحلة الأولى:

وهي مرحلة التأسيس ففي ربيع الأول عام ١٤هـ/ مايس ٦٣٥م، اختطه نافع بن الحارث أو محجن بن الأدرع السلمي بأمر عتبة بن غزوان (مؤسس البصرة)، فبناه من القصب في مرحلة تثبت الإسلام في الأراضي المفتوحة والسعي لزيادة رقعة الفتوح.

المرحلة الثانية:

وبعد سنة ١٧هـ/ ٦٣٨م احترقت البصرة وربما شمل الحريق المسجد أيضا، فأعاد بناءه أبو موسى الأشعري والي البصرة وقد اتسعت المدينة اتساعاً هائلاً، فبناه بلبن وطين وسقفه بالعشب كما زاد فيه الوالي عبد الله بن عامر عام ٢٢هـ كما قام الإمام علي عليه السلام بتصحيح اتجاه قبلته لأنها كانت منحرفة وذلك عام ٣٦هـ/ ٦٥٦م.

المرحلة الثالثة:

عام ٤٥ هـ/ ٦٥٦م قام والي البصرة ببنائه بناءاً محكماً بالآجر والجص ووسع مساحته وسقّفه بالساج، واتخذ له أعمدة من حجر نحتها من جبال الأهواز، كما أدخلت عليه توسعات في ولاية عبيد الله بن زياد عام ٥٤ هـ/ ٦٧٣م.

المرحلة الرابعة:

عندما ولي محمد بن سليمان بن علي سنة١٦١هـ أيام الخليفة العباسي المهدي، رأى زيادة عدد المصلين الذين بلغ عددهم أكثر من عشرين ألف مصل حسب إحصائيته، فوسعه بشراء الدور المحيطة به، وفي ولاية عيسى بن جعفر العباسي سنة١٨٥هـ/ ٨٠١م أدخلت دار الإمارة بالمسجد كما تم تسقيفه بعد أن ترك مساحة صغيرة في الوسط كانت تظلل بالأقمشة الفاخرة.

المرحلة الخامسة:

وفي ولاية شمس الدين باتكين الرومي على البصرة سنة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م في خلافة المستنصر بالله قام بإعادة بناء المسجد بالطابوق المزخرف وقطع سواريه من جبال الأهواز وجلب له الأخشاب من الهند وأنشأ رباطاً للصوفية بجانبه ومكتبة كبيرة وبنى له سبع مآذن، والأثر المتبقي والذي يمثل الركن الشمالي الغربي هو من العمارة الأخيرة هذه.

المرحلة السادسة:

وقد تمت عام ٢٠٠٠م وهو البناء الجديد الذي لا يتناسب مع مكانة المسجد وأهميته فالبناء الحالي هو خارج موقع المسجد القديم الذي حددت مقاييسه البالغة (١٩٥م × ١٣٥م) كما أن أسلوب البناء لا يمت بصلة لتاريخ المسجد.

زيارة الإمام علي عليه السلام للبصرة:

تنامت الحركة الثقافية في مسجد البصرة بعد زيارة الإمام علي عليه السلام لها سنة ٣٦هـ، حيث ألقى عددا من الخطب في هذا المسجد، بعد واقعة الجمل، ثم عيّن على البصرة عبد الله بن عباس المعروف بفقهه حيث أخذ يلقي دروسا في الفقه والتفسير والأخبار فيه، وتخرج على يديه كبار التابعين منهم الحسن البصري، وتشكلت نواة مدرسة

البصرة في الفقه والتفسير والأخبار والكلام، وبالإضافة لحلقات الدرس كانت تعقد مناظرات مهمة أدت بعضها لإيجاد اتجاهات فكرية جديدة، كالمناظرة بين الحسن البصري وتلميذه واصل بن عطاء، والتي أدت إلى نشوء مذهب الاعتزال، والمناظرة التي بين أبي علي الجبائي زعيم المعتزلة، وبين تلميذه أبو الحسن الأشعري والتي أدت لنشوء مذهب الاشاعرة في علم الكلام.

بقي هذا المسجد أثرا تاريخيا شاخصا

وعنه عليه السلام : (عجبت لمن يتصدى لإصلاح الناس ونفسه أشد شيء فسادا فلا يصلحها وتعاطى إصلاح غيره)

وأخذ يُعرف باسم (خطوة الإمام علي عليه السلام، أو جامع الإمام علي عليه السلام بعد زيارته عليه السلام له. وقد تنبأ أمير المؤمنين عليه السلام لمصير هذه المدينة ومسجدها حيث قال: «كأني أنظر إلى قريتكم هذه قد طبقها الماء حتى ما يرى منها إلا شرف المسجد كأنه جؤجؤ طير في لُجة بحر». نهج البلاغة: ج١، ص٤٥، وفي رواية (كجؤجؤ سفينة)، قال ابن أبي الحديد في تعليقه على كلام الإمام أعلاه: (فأما إخباره عليه السلام أن البصرة تغرق عدا المسجد الجامع بها، فقد رأيت من يذكر أن كتب الملاحم تدل على أن البصرة تهلك بالماء الأسود يتفجر من أرضها فتغرق ويبقى مسجدها، والصحيح أن المخبر به قد وقع، فإن البصرة قد غرقت مرتين، مرة في أيام القادر بالله، ومرة في أيام القائم بأمر الله، غرقت بأجمعها ولم يبق منها إلا مسجدها الجامع بارزا بعضه كجؤجؤ الطائر حسب ما أخبر به أمير المؤمنين عليه السلام، وجاءها الماء من بحر فارس من جهة الموضع المعروف الآن بجزيرة الفرس، ومن جهة الجبل المعروف بجبل السنام، وخربت دورها وغرق كل ما في ضمنها، وهلك كثير من أهلها، وأخبار هذين الغرقين المعروفة عند أهل البصرة يتناقلها خلفهم من سلفهم) شرح نهج البلاغة: ج١، ص٢٥٣.

مسجد الخطوة جامعة إسلامية متكاملة:

لعلنا لا نجانب الصواب إذا وصفنا جامع البصرة القديمة بالجامعة بكافة كلياتها وأقسامها، ولعلنا نصيب كبد الحقيقة إذا قلنا انفراده وتفرده على جوامع المعمورة بالجانب العلمي والأدبي مما حدا بالبصريين أن يفتخروا ويتفاخروا بمسجدهم الذي انبثت حول سواريه حلقات عدة، فحلقة للنحو حيث عرفت البصرة بمدرستها النحوية، وحلقة لتدريس اللغة، وأخرى للكلام والقضايا الفلسفية، وحلقة للتفسير، ومن بين تلك الحلقات حلقة الحسن البصري، وواصل بن عطاء، وقتاده السدوسي، ولا يعني هذا إن هذه الحلقات مقتصرة على أهالي البصرة، بل إن شهرة علماء البصرة دفعت طلبة العلم إلى المجيء إليها والتزود من علمائها.

وبجانب هذه الحلقات كانت حلقة أبي عمر العلاء والخليل الفراهيدي الذي وصف بأنه مفتاح العلوم ومعرفتها ويونس بن حبيب، أما الأصمعي فكانت حلقته في اللغة والأخبار.

استمر هذا المسجد كجامعة مصغرة يستقبل طلبة العلم من مختلف أرجاء العالم الإسلامي ويخرجهم أساطين في اختصاصات مختلفة فيعودوا إلى بلادهم، وما زال الحال حتى مجيء المغول فلحق

مدينة البصرة من الدمار والخراب بسبب الفتن وانعدام الأمن ما أدى لهجرانها إلى ما يسمى بالبصرة الحديثة.

وصف جامع البصرة الكبير (مسجد الخطوة):

يرتفع الجامع القديم ارتفاعاً هائلاً قدّره الرحالة ناصر خسرو عام ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م بثلاثين ذراعا وابن بطوطة في رحلته عام ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م، إذ وصفه بالصحن لارتفاعه فقال: (وكنت قد رأيت عند قدومي عليها على نحو ميلين منها بناءاً عالياً مثل الصحن فسألت عنه فقيل هو مسجد علي بن أبي طالب عليه السلام وكانت له سبع مآذن ومفروش بالحصباء الملونة).

وللمسجد ثمانية عشر باباً وكل باب له درجة خارجية وله اسمه الخاص مثل باب بني تميم وباب بني سليم وباب الرحبة وباب الإصفهاني وباب عثمان وكان يُنار ليلاً بالقناديل المربوطة بالسلاسل والمسترة بالزجاج وأغطية الخشب، وله قيّم خاص لإشعالها وتصليحها، ومن المرافق الأخرى (المقصورة) وهي غرفة لصلاة الوالي، (والمنبر) وصهاريج الوضوء المعروفة (بطست الجامع) الواقعة خارجه ومطلية بالقار، كما تثبت بالجدران الخارجية آلاف الحلقات التي تستخدم كمرابط للخيل.

وبعد خراب البصرة وانتقال سكانها بدت حالته مؤلمة إذ بنيت بيوت البصرة ومدينة الزبير بطابوق المسجد وأخذت سواريه لاستخدامات أخرى حتى لم يبق منه سوى جدران وأعمدة قائمة حفظتها لنا ريشة أحد الرحالة في القرن العاشر الهجري وقد رآها نيبور عام١١٧٠هـ/ ١٧٦٥م ولم يبق الآن سوى الركن الشمالي الغربي منه.

وقد سمته (الليدي دراور) عام١٩١٩م (بجامع علي ذي المنارات السبع) وأطلقت على الأثر المتبقي اسم (برج السندباد) فقالت: (لم يتبق من جامع علي ذي المنارات السبع وأكبر جامع بني في الإسلام أي أثر كما لم يبق أثر أيضاً للبنايات العباسية التي بنيت بالآجر اللطيف، وهناك برج يسمى محلياً (برج السندباد) ويقع في منتصف الطريق بين البصرة والزبير).

الخاتمة

اليوم تحول المسجد إلى مزار تهفو إليه قلوب آلاف المسلمين لإحياء المناسبات الدينية ومن أبرزها واقعة كربلاء ووفاة الرسول صلى الله عليه وآله واستشهاد الإمام علي عليه السلام وولادة الإمام المهدي المنتظر (عج) وغيرها من المناسبات الدينية، حيث صار الجامع ملاذهم ومزارهم الذي يتوجهون إليه أحيانا مشيا على الأقدام من البصرة وحتى من بعض المحافظات الجنوبية.

نعم هنا تهادت خطى الإمام عليه السلام وباركت التراب بالقيم العلوية وحملت معها عبق الرسالة الإسلامية العظيمة وعبق النبوة وفجر الدعوة المحمدية الخالدة.

وهذه الخطوة المباركة هي الأثر الشاخص الذي يرمز إلى اللقاء التاريخي والحضور البهي الذي تباركت به البصرة...

وعنه عليه السلام: (عجبت لمن ينكر عيوب الناس ونفسه أكثر شيء معابا ولا يبصرها)

عَنْ أَبِي يَعْقُوبَ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللّٰه عَنْ أَبِي عَبْدِ اللّٰه عليه السلام قَالَ: «إِنَّ اللّٰهَ خَصَّ عِبَادَه بِآيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِه أَنْ لَا يَقُولُوا حَتَّى يَعْلَمُوا وَلَا يَرُدُّوا مَا لَمْ يَعْلَمُوا وقَالَ عَزَّ وجَلَّ: (أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللّٰه إِلَّا الْحَقَّ) وقَالَ: (بَلْ كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِه وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُه».

قال عليه السلام قال: «إِنَّ اللّٰه خَصَّ عِبَادَه بِآيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِه» خصّ عباده بمعنى حثّهم ودعاهم إلى التمسك بخصلتين الأولى أن لا يقولوا شيئاً إلا بعد العلم بأنّه حقٌ والثانية هي أن لا يردّوا شيئاً إلا بعد العلم بأنه باطل، والمراد بالعباد جميعهم، ويحتمل أن يراد بهم العلماء العارفون بالكتاب والسنّة والمستعدّون لكسب الأحكام منهما استعداداً قريباً بقرينة الإضافة المفيدة للاختصاص.

ثم قال عليه السلام: «أَنْ لَا يَقُولُوا» على اللّٰه في أمر من أمور الدين «حَتَّى يَعْلَمُوا» ذلك على اليقين.

وقال عليه السلام: «وَلَا يَرُدُّوا مَا لَمْ يَعْلَمُوا» أي لا يجعلوا ما لم يعلموه مردوداً باطلاً لاحتمال أن يكون حقّاً فيكون ردّه ردّاً على اللّٰه سبحانه.

وقد أشار عليه السلام إلى الآية الأولى الدالّة على أنّه ليس لهم أن يقولوا حتى يعلموا بقوله: «وقَالَ عَزَّ وجَلَّ» عطف على «خصّ عباده بآيتين» على وجه التفسير والبيان له.

«أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ» الضمير لأهل الكتاب كما تشعر به الآية المتقدّمة عليها الدالّة على أنّهم ورثوا التوراة من أسلافهم وقرؤوها وعلموا ما فيها من الأوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولم يعملوا بها، وأخذوا الرُشى من الحكومة على تحريف الكلم للتسهيل على العامّة أو لغيره وأصرّوا على ذلك، وكانوا مع الإصرار وعدم التوبة يقولون من غير علم، و «مِيثَاقُ الْكِتَابِ» يعني التوراة.

ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللّٰه إِلَّا الْحَقَّ﴾، أي: أن لا يقولوا على كتابه ودينه وشريعته إلاّ ما علموا أنّه الحقّ الثابت الواقع من عند اللّٰه تعالى، وقوله: ﴿أَنْ لا يَقُولُوا﴾ متعلّق بالميثاق، أي: بأن لا يقولوا أو بيان وتفسير له لأنّ الميثاق قد وقع بهذا القول فصحّ أن يكون هذا القول تفسيراً له والمراد توبيخهم على التحريف والقول بالمغفرة مع عدم التوبة بدون علم وذمّهم بأنّ ذلك افتراء على اللّٰه وتقوّل عليه ما ليس بحقّ وخروج عن ميثاق الكتاب وهذه الآية وإن نزلت فيهم وفي الحقّ المخصوص إلاّ أنّها تحمل على العموم وتشمل علماء هذه الأمة أيضاً، والحقّ

وعنه عليه السلام: (عجبت لمن يظلم نفسه كيف ينصف غيره)

مطلقاً فيكون منعاً لهم عن القول بشيء إلاّ بعد ما علموا أنّه حق، وذلك لأنّ هذا الحكم -أعني القول بالحقّ - دون غيره وعدم جواز الافتراء على الله تعالى غير مختصّ بأمة دون آخرين، ولا بحقّ دون آخر.

وأشار عليه السلام إلى الآية الثانية الدالّة على أنّه لا يجوز الردّ والتكذيب بدون علم قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِه وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُه﴾ ذمّهم على ردّ ما لم يعلموا وتكذيبهم به.

قال في الكشّاف: بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن وفاجأوه في بديهة السماع قبل أن يفقهوه ويعلموا كنه أمره، وقبل أن يتدبّروه ويقفوا على تأويله ومعانيه، وذلك لفرط نفورهم على تخالف دينهم وفرارهم عن مفارقة دين آبائهم فالناشئ على التقليد من الحشوية إذا أحسّ بكلمة لا توافق ما نشأ عليه وألفه أنكرها في أوّل وهلة واشمأز منها من غير فكر في صحّة أو فساد، لأنّه لم يشعر قلبه إلاّ صحّة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب.

ملاحظة: الآية وإن نزلت لذمّ المتسرّعين إلى التكذيب بالقرآن قبل أن يتدبّروا في نظمه الذي يعجز عن مثله مصاقع الخطباء وأن يتفكّروا في معناه الذي يقصر عن الوصول إلى كنه حقائقه عقول العلماء لكن يندرج فيها باعتبار عموم اللفظ ذمّ من يتسرّع إلى الردّ والتكذيب بالأحاديث النبوية والروايات المنقولة عن الأئمّة الطاهرين ولو بواسطة وغير ذلك من الأمور الدينية قبل أن يعلم ذلك ويتدبّر في معناه ويتفكّر من مغزاه ويتأمّل في صحّة مضمونه ومؤدّاه كالناشئ على الدين الباطل من مخالفينا المنكرين لكون الخلافة بالنصّ مع أنّ النصوص الواردة في كتبهم كثيرة ولكنّهم لمّا لم يتدبّروا فيها ولم ينصفوا من أنفسهم وقلّدوا الآباء والأسلاف وعاندوا الحقّ ونشأوا على الباطل ردّوها من غير علم بتأويلات فاسدة ومزخرفات باطلة تضحك عليهم العقول الكاملة وتسخر بهم القلوب الخالصة، وكبعض من اجتهد من غير علم معتمدا على رأيه فتارة يحكم بشيء ويعمل به ويحمل غيره عليه، وتارة يرجع عن رأيه ويحكم بضدّ ذلك الشيء، وأحد هذين الحكمين كذب وافتراء لا محالة، فكأنّه لم يسمع قوله تعالى: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ ۞ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ سورة النحل: آية ١١٦- ١١٧. فوجب على كلّ عاقل متديّن أن يقول ما يعلمه ولا يردّ ما لا يعلمه ويسكت ويطلب حقيقة أمره من أهل العلم، وله في السكوت أجر جميل وثواب جزيل، ولذا قال بعض الأكابر: (لا أدري نصف العلم) ومن سكت لله تعالى حيث لا يدري فليس أقلّ أجراً ممّن نطق بعلم، لأنّ الاعتراف بالنقص أشدّ على النفس.

٤- عَنِ ابْنِ شُبْرُمَةَ قَالَ: (مَا ذَكَرْتُ حَدِيثاً سَمِعْتُهُ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليهما السلام إِلَّا كَادَ أَنْ يَتَصَدَّعَ قَلْبِي قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي عَنْ

إِنَّ اللهَ خَصَّ عِبَادَه بِآيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِه أَنْ لَا يَقُولُوا حَتَّى يَعْلَمُوا ولَا يَرُدُّوا مَا لَمْ يَعْلَمُوا

رَسُولِ اللّه صلى الله عليه وآله قَالَ ابْنُ شُبْرُمَةَ وأُقْسِمُ بِاللّه مَا كَذَبَ أَبُوه عَلَى جَدِّه ولَا جَدُّه عَلَى رَسُولِ اللّه صلى الله عليه وآله قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّه صلى الله عليه وآله مَنْ عَمِلَ بِالْمَقَايِيسِ فَقَدْ هَلَكَ وأَهْلَكَ ومَنْ أَفْتَى النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ وهُوَ لَا يَعْلَمُ النَّاسِخَ مِنَ الْمَنْسُوخِ والْمُحْكَمَ مِنَ الْمُتَشَابِه فَقَدْ هَلَكَ وأَهْلَكَ).

ابن شبرمة واسمه عبد الله، وهو قاضياً للمنصور على سواد الكوفة، وكان فقيهاً شاعراً، وأورده العلاّمة في الخلاصة في قسم المجروحين، وقال بعض العلماء: إنّه مستقيم مشكور وطريق الحديث من جهته ليس إلاّ حسناً ممدوحاً، ولست أرى لذكر العلاّمة له في قسم المجروحين وجهاً، إلاّ أنّه قد تقلّد القضاء من قِبل الدوانيقي وهو شيء لا يصلح للجرح كما لا يخفى.

يقول ابن شبرمة: (مَا ذَكَرْتُ حَدِيثاً سَمِعْتُه عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليهما السلام إِلَّا كَادَ أَنْ يَتَصَدَّعَ قَلْبِي)، ثم ينقل هذا الحديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: (حدّثني أبي عن جدّي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ابن شبرمة: وأُقْسِمُ بِاللّه مَا كَذَبَ أَبُوه عَلَى جَدِّه ولَا جَدُّه عَلَى رَسُولِ اللّه صلى الله عليه وآله).

بعد ذلك قال عليه السلام: «قَالَ رَسُولُ اللّه صلى الله عليه وآله: مَنْ عَمِلَ بِالْمَقَايِيسِ» المقياس ما يقدّر به الشيء ويوزن به، ومنه القياس، وهو إثبات حكم الأصل في الفرع لاشتراكهما في العلّة، وله أركان أربعة، كما يظهر من التعريف والمراد بالعمل به اعتقاد حجّيته وجعله دليلاً على الأحكام الشرعية والعمل بمقتضاه وإفتاء الناس به ووضعه شريعة لهم.

«فَقَدْ هَلَكَ» في نفسه هلاكاً أبدياً بتحريمه ما حلّل الله وتحليله ما حرّم الله، ومضادّته لله في وضع الشرائع ومشاركته إيّاه في تعيين الأحكام وتركه طريقاً قرّره الله لعباده للوصول إلى أحكامه وهو الكتاب والسنّة ومن عنده علم الكتاب.

«وأَهْلَكَ» غيره ممّن تبعه، وعمل بسنّته، وأفتى بفتياه، واعتقد بطريقته، وتمسّك بحجّيّة القياس بتبعيّته، فهو ضالّ مضلّ مبين، عليه وزره ووزر من تبعه إلى يوم الدين من غير أن ينقص من أوزار التابعين.

ثم قال عليه السلام: «ومَنْ أَفْتَى النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ» في الأحكام الشرعية وبيّن لهم الحلال والحرام وتمسّك في ذلك بالكتاب والسنّة.

«وهُوَ لَا يَعْلَمُ النَّاسِخَ مِنَ الْمَنْسُوخِ» النسخ في اللغة الإزالة والتغيير. وفي العرف: رفع حكم شرعي بدليل شرعي متأخّر، والمتأخّر ناسخ والمتقدّم منسوخ، ومعنى الرفع أنّه لولا المتأخّر لثبت المتقدّم، وقيل: المتأخّر بيان لانتهاء الأوّل في ذاته.

«والْمُحْكَمَ مِنَ الْمُتَشَابِه» المحكم في اللغة المتقن. وفي العرف: هو الخطاب الدالّ على معنى لا يحتمل غيره، والمتشابه بخلافه. والمحكم على هذا التفسير مختصّ بالنصّ، والمتشابه يتناول الظاهر والمأوّل والمجمل، فإنّ كلّ واحد من هذه الثلاثة يحتمل غيره إلاّ أنّ ذلك الغير في الظاهر مرجوح، وفي المأوّل راجح، وفي المجمل مساو.

وقيل: المحكم ما اتّضح دلالته، وهو بهذا المعنى يتناول النصّ، والظاهر المتشابه يتناول المأوّل والمجمل.

«فَقَدْ هَلَكَ» لأنّه ربّما يأخذ بالمنسوخ ويرفض الناسخ لعدم علمه بالنسخ ويجعله شريعة لمن تبعه، وربّما يحمل المتشابه على أحد مدلوليه لظنّه أنّه محكم، والمقصود مدلوله الآخر كما فعلت المجسّمة حيث تبعوا متشابهات القرآن والسنّة، واعتقدوا أنّ الباري جلّ شأنه جسم له صورة ذات وجه ويمين وجنب ويد ورجل وإصبع تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

«وأَهْلَكَ» من تبعه وعمل بقوله وأخذ بفتواه، لأنّ تابع البدعة هالك كواضعها وإن كان الهلاك في واضعها أشدّ وأقوى.

وعنه عليه السلام : (عجبت لمن يقال فيه الشر الذي يعلم أنه فيه كيف يغضب)

فائدة وجود الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في زمن الغيبة

إن الهدف الرئيس لبعثة الأنبياء هو هداية الناس إلى طريق الحق والخير، ليعرف الناس الطريق الحقيقي لتكاملهم من خلال الوحي عن طريق الأنبياء، حتى يتشكل المجتمع المثالي القائم على أساس عبادة الله تعالى، وعلى منهج القيم والتعاليم الإلهية، بما يحقق العدل والقسط في كل الأرض، وقد عمل الأنبياء وأوصيائهم في سبيل ذلك بما توفر لديهم من ظروف وما استطاعوا أن يحققوا من شروط.

وكل نبي أتى ليكمل طريق الأنبياء السابقين عليه حتى انتهت إلى خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، ولكن مع وجوده الشريف، وبعد وفاته لم يتحقق الهدف في إقامة الحكومة الإلهية على كل المعمورة، ولم يتحقق الوعد الإلهي، والله لا يخلف وعده: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾التوبة/٣٣.

فلا بد من إنسان يتصف بصفات الأنبياء والأوصياء يكمل هذا الطريق، لذلك نصب بأمر من الله تعالى مَن يكمل الطريق من بعده وهم اثنا عشر إماما أولهم أمير المؤمنين عليه السلام وآخرهم هو الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف ، والذي بشر بظهوره المبارك الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وبشرت بذلك الآيات المباركة: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾الانبياء /١٠٥. ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ القصص/٥.

كما أخبر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بغيبته في روايات كثيرة منها: أنه صلى الله عليه وآله قال: «إن علياً وصيّي، ومن ولده القائم المنتظر المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً إن الثابتين على القول بإمامته في زمان غيبته لأعز من الكبريت الأحمر. فقام إليه جابر بن عبد الله فقال: يا رسول الله، وللقائم من ولدك غيبة؟ قال صلى الله عليه وآله : (إي وربي، ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين. ثم قال صلى الله عليه وآله :"يا جابر إن هذا أمر الله وسر من سر الله، فإياك والشك فإن الشك في أمر الله -عز وجل- كفر». ينابيع المودة، ص٤٤٨.

وللإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف غيبتان صغرى وكبرى كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام : «وإن للقائم منا غيبتين: إحداهما أطول من الأخرى، فلا يثبت على إمامته إلا من قوي يقينه وصحّت معرفته» منتخب الأثر، ص٢٥١.

الغيبة الصغرى: بدأت حينما هجم جيش الخليفة، على دار الإمام العسكري عليه السلام إثر وفاته في سنة ٢٦٠هـ إلى انتهاء هذه الغيبة سنة ٣٢٩هـ، أي: ٦٩ عاماً وعدة أشهر وكان عجل الله تعالى فرجه الشريف في هذه الفترة يتصل بشيعته ويرعى شؤونهم من خلال سفرائه الأربعة الذين هم:

١- عثمان بن سعيد العمري ومدة سفارته خمس سنوات.
٢- محمد بن عثمان العمري ومدة سفارته أربعون سنة.
٣- الحسين بن روح النوبختي ومدة سفارته إحدى وعشرون سنة.
٤- علي بن محمد ألسمري ومدة سفارته ثلاث سنوات.

وبوفاة السفير الرابع سنة ٣٢٩هـ انتهت الغيبة الصغرى وبدأت الغيبة الكبرى.

الغيبة الكبرى: وينبغي أن يكون واضحا أننا عندما نتكلم عن غيبة الإمام المهدي(عج) فذلك لا يعني أنه عليه السلام قابع في جوف الأرض أو سجين في سرداب ما كسرداب الغَيبة كما يظنه بعض الجُهّال، بل هو موجود بين الناس ويعيش معهم ويخالطهم ، غير أن الناس لا يعرفون أنه هو الإمام المهدي المنتظر، فعن سدير قال سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: «إن في القائم سُنّة

وعنه عليه السلام : (عجبت لمن يقال فيه الخير الذي يعلم أنه ليس فيه كيف يرضى)

من يوسف عليه السلام ... إلى أن قال: فما تنكر هذه الأمة أن يكون الله عز وجل يفعل بحجته ما فعل بيوسف أن يكون يسير في أسواقهم ويطأ بسطهم وهم لا يعرفونه حتى يأذن الله عز وجل أن يعرفهم بنفسه كما أذن ليوسف»(كمال الدين : ٨٦).

فغيبة الإمام إذاً إنما تعني عدم معرفة الناس له عليه السلام لا غيابه عن ساحة الأحداث ومجريات الأمور، وهذا ما يعبر عنه بخفاء العنوان.

وفي ضوء الغيبة الكبرى للإمام المهدي عليه السلام أثيرت بعض الشكوك والأوهام وتبادرت إلى أذهان الناس بعض التساؤلات، منها ما أثير عن جدوى وجود الإمام المهدي عليه السلام حال غيبته الكبرى وانتفاع الناس من وجوده المبارك.

ولكن وردت أحاديث متعددة تذكر فوائد وجود الإمام الغائب عليه السلام ووجه الانتفاع به، منها: ما روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله : هل ينتفع الشيعة بالقائم عليه السلام في غيبته؟ فقال صلى الله عليه وآله: «إي والذي بعثني بالنبوة، إنّهم لينتفعون به، ويستضيئون بنور ولايته في غيبته، كانتفاع الناس بالشمس وإن جللها السحاب» (كمال الدين ١: ٢٥٣) فالشمس أمان للكواكب من الفناء والزوال وفيها فائدة عظيمة للإنسان والحيوان والنبات والهواء والماء والجماد، ومن الواضح أن السحاب لا يغير شيئاً من تأثير الشمس، وفوائدها، وإنّما يحجب الشمس عن الرؤية -في المنطقة التي يغطيها السحاب- فقط، فالإمام المهدي عليه السلام الذي شُبِّه بالشمس وراء السحاب هو الذي بوجوده يتنعم البشر وهو أمان لأهل الأرض، لأنّ الأرض لا تخلو من الحجة ولو خلت لساخت بأهلها، وورد هذا المعنى في رسالة الإمام المهدي عليه السلام إلى إسحاق بن يعقوب: «... وإني لأمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء...» (كمال الدين ٢: ٤٨٥ ، الغيبة للطوسي: ١٧٧).

وبالإضافة إلى هذا فانّ إمام العصر أرواحنا فداه يحضر في مواسم الحج كل عام، ويتردد على المجالس والمحافل، وما أكثر المشاكل التي يحلها بواسطة أو من دون واسطة لبعض المؤمنين، ولعل الناس لا يرونه ولا يعرفونه ولكن الإمام عليه السلام يراهم ويعرفهم، وقد ظفر كثير من الناس بلقائه خلال الغيبة الصغرى والكبرى ورأوا كثيراً من معاجزه وكراماته، وحُلّت على يديه مشاكل عدد من المؤمنين.

فكم من مسألة في الأصول والفروع قد أجاب عنها ومشكلة في الدّين أو الدنيا قد أنقذ منها، وكم من مريض قد شفاه ومضطر قد نجّاه ومنقطع قد هداه وعطشان قد سقاه وعاجز قد أخذ بيده وذلك بلطف الله تعالى واستجابة لدعواته وتوسلاته المباركة بحق هؤلاء وأمثالهم فكيف جاز أن يقول القائل كيف يُنتفع بالإمام الغائب؟ هذا والإمام يرعى شيعته، ويمدهم بدعائه الذي لا يحجب، وقد أعلن ذلك في إحدى رسائله للشيخ المفيد، فقد قال عليه السلام : «إنّا غير مهملين لمراعاتكم ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء [أي الشدة]، واصطلمكم [أي: استأصلكم] الأعداء...» (الاحتجاج للطبرسي ٢: ٥٩٨)

وإني لأمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء

وقد ذكر العلامة المجلسي رحمه الله ثمانية وجوه لتشبيه الانتفاع بالإمام عليه السلام في غيبته بالشمس المجللة بالسحاب وهي:

الأول: أن نور الوجود والعلم والهداية، يصل إلى الخلق بتوسطه عليه السلام إذ ثبت بالأخبار المستفيضة أنهم العلل الغائية لإيجاد الخلق، فلولاهم لم يصل نور الوجود إلى غيرهم، وببركتهم والاستشفاع بهم، والتوسل إليهم يظهر العلوم و المعارف على الخلق ، ويكشف البلايا عنهم، فلولاهم لاستحق الخلق بقبائح أعمالهم أنواع العذاب، كما قال تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾.

الثاني: كما أن الشمس المحجوبة بالسحاب مع انتفاع الناس بها – ينتظرون في كل آن انكشاف السحاب عنها وظهورها، ليكون انتفاعهم بها أكثر ، فكذلك في أيام غيبته عليه السلام، ينتظر المخلصون من شيعته خروجه وظهوره، في كل وقت و زمان، ولا ييأسون منه.

الثالث: أن منكر وجوده عليه السلام مع وفور ظهور آثاره كمنكر وجود الشمس إذا غيبها السحاب عن الأبصار.

الرابع: أن الشمس قد تكون غيبتها في السحاب أصلح للعباد ، من ظهورها لهم بغير حجاب ، فكذلك غيبته عليه السلام أصلح لهم في تلك الأزمان ، فلذا غاب عنهم .

الخامس: أن الناظر إلى الشمس لا يمكنه النظر إليها بارزة عن السحاب، وربما عمي بالنظر إليها لضعف الباصرة، عن الإحاطة بها، فكذلك شمس ذاته المقدسة فربما يكون ظهوره أضر لبصائرهم، ويكون سببا لعماهم عن الحق، وتحتمل بصائرهم الإيمان به في غيبته، كما ينظر الإنسان إلى الشمس من تحت السحاب ولا يتضرر بذلك.

السادس: أن الشمس قد يَخرج من السحاب وينظر إليها واحد دون واحد فكذلك يمكن أن يظهر عليه السلام في أيام غيبته لبعض الخلق دون بعض .

السابع: أنهم عليهم السلام كالشمس في عموم النفع وإنما لا ينتفع بهم من كان أعمى كما فسر به في الأخبار قوله تعالى: ﴿من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً﴾.

الثامن: أن الشمس كما أن شعاعها تدخل البيوت ، بقدر ما فيها من النوافذ، وبقدر ما يرتفع عنها من الموانع ، فكذلك الخلق إنما ينتفعون بأنوار هدايتهم بقدر ما يرفعون الموانع عن حواسهم ومشاعرهم التي هي نوافذ قلوبهم من الشهوات النفسانية والعلائق الجسمانية .... إلى أن ينتهي الأمر إلى حيث يكون بمنزلة من هو تحت السماء يحيط به شعاع الشمس من جميع جوانبه بغير حجاب. (بحار الأنوار: ج٥٢/ص٩٢ - ٩٤)

ومن هنا نفهم أن الوجود المقدس للإمام المهدي هو ضروري لهذا الكون وبقائه وصلاحه حتى وإن كان عليه السلام مستتراً عن الأنظار بالغيبة، ولا تشكل غيبته أي عائق عن الاستفادة من بركات هذا الفيض الإلهي المتمثل بوجوده.

نسأل الله تعالى أن نكون محل عنايته عليه السلام والمقربين منه ومن المنتفعين ببركة وجوده المقدس.

وعنه عليه السلام : (عجبت لمن يشتري العبيد بماله فيعتقهم كيف لا يشتري الأحرار بإحسانه فيسترقهم)

من الأمور التي تشترك بها الأمم والشعوب هي احترام وتقديس وتقدير العلماء والشهداء ورجال البناء والتضحية في سبيل المبادئ الحقة والقيم الإنسانية السامية، ولعل الأمة الإسلامية لها الحظ الأوفر من كم وكيف العظماء، فهي تملك رصيداً ضخماً من رجال الفكر والجهاد والتضحية والقيم في مختلف جوانب الحياة، وما ذاك إلا نتيجة الارتباط بشخصيةٍ تولى الباري جل وعلا الاهتمام بها وتربيتها وتأديبها، ونكاد نجزم أنّ كل من سار على نهج وهَدي النبي المصطفى صلى الله عليه وآله دخل أبواب الخلد بجدارة، نعم استطاع الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أن يؤسس ويبني دولةً وحضارة في مقطع زمني يسير، لم يتجاوز العقد الواحد، وهذا الانجاز والعطاء الضخم له عدة مقومات وأسس، فبالإضافة إلى التأييد والتسديد الإلهي نجد هِمم الرجال الأبطال الذين كانوا يدورون فَي فلك النبوة والرسالة، والذين تكهربوا بشخص الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، ولم تلههم تجارة ولا بيع، أو الصفق في الأسواق، الذين آمنوا ولم يخلطوا عملاً صالحاً وأخر سيئاً، ولم يشكوا ولم يرتابوا، وكانوا على هدى من ربهم، الذين اشترى الله منهم أنفسهم، ورضي الله عنهم، وأحبوا الله ورسوله وأحبهم الله ورسوله، وما قام الإسلام الا بجهادهم وتضحياتهم وأموالهم.

ومن هؤلاء العظماء شخص أخلص لله بأبهى صور الإخلاص، وصدّق بالقول والفعل وقبلهما النية الطيبة، واتبع النبي صلى الله عليه وآله أيّما اتباع، فكان حقاً مصداقاً لحديث الثقلين، حيث تمسك بالقرآن والعترة، فحاز على السعادة في الدارين، وهو المقداد الكندي اسم تألق في سماء الإيمان والولاية، فنال رضى الله ورسوله، وحاز أوسمة المدح والثناء من الله تعالى متمثلة بجواهر كلام الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله حيث قوله صلى الله عليه وآله : «إن الله عز وجل أمرني بحب أربعة من أصحابي، وأخبرني أنه يحبهم، قلنا: يا رسول الله فمن هم فكلنا نحب أن نكون منهم؟ فقال: ألا إن علياً منهم، ثم سكت، ثم قال: ألا إن علياً منهم وأبو ذر وسلمان الفارسي والمقداد ابن الأسود الكندي» راجع الخصال للصدوق ص٢٥٤، والاستيعاب لابن عبد البر،ج ٤، وغيرهما.

وهناك أحاديث كثيرة نطق بها الصادق الأمين - وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى- تعبر وتظهر بوضوح عظيم منزلة هذا الصحابي الجليل، منها ما رواه الصدوق في الخصال ص٣٠٣، وابن عساكر في تاريخه ج٦٠ ص١٧٦، وغيرهما، واللفظ للأول:... حدثني سيدي علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن جعفر بن محمد عن أبيه، عن علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن علي عليهم السلام قال: «قال النبي صلى الله عليه وآله : الجنة تشتاق إليك والى عمار وسلمان وأبي ذر والمقداد».

من هو المقداد؟ اشتهر بأنه ابن الأسود ولُقب بالكندي، والحقيقة خلاف هذا المشهور، فقد ذكر الشيخ المفيد المتوفى ٣١٤ في كتابه الاختصاص ص٨: وكنية المقداد أبو معبد وهو مقداد بن عمرو البهراني، وكان الأسود بن عبد يغوث الزهري تبناه فنُسب إليه، قال ابن حجر المتوفى٨٥٢ في الإصابة ج٦: المقداد بن الأسود الكندي هو بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن عامر بن مطرود البهراني وقيل الحضرمي، قال بن الكلبي: كان عمرو بن ثعلبة أصاب دماً في قومه فلحق بحضرموت فحالف كندة فكان يقال له الكندي، وتزوج هناك امرأة فولدت له المقداد، فلما كبر المقداد وقع بينه وبين أبي شمر بن حجر الكندي فضرب رجله بالسيف وهرب إلى مكة فحالف الأسود بن عبد يغوث الزهري وكتب إلى أبيه فقدم عليه فتبنى الأسود المقداد فصار يقال المقداد بن الأسود وغلبت عليه واشتهر بذلك فلما نزلت: ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ قيل له: المقداد بن عمرو واشتهرت شهرته بابن الأسود.

إسلامه: كان المقداد في مكة، فبلغه خبر النبي صلى الله عليه وآله، فأسرع إلى الإيمان به، ذكرت كتب المسلمين أنه كان من السابقين، ذكر ذلك ابن عساكر في تاريخه، والذهبي، وابن حنبل وغيرهم، فقد عدّوا أوائل المسلمين ومنهم المقداد، وكان يتحين الفرص للالتحاق بالنبي صلى الله عليه وآله، وفي السنة الأولى من الهجرة عقد النبي صلى الله عليه وآله لواء أبيض لعمه حمزة رضي الله عنه لمعارضة قوافل قريش، وخرجت قريش فخرج المقداد معهم وهو عازم على الالتحاق بالمسلمين، فلما التقيا انضم المقداد إلى صفوف المسلمين،

وعنه عليه السلام: (عجبت لمن ينكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى)

وبهذا بدأت المسيرة الجهادية لهذا الصحابي العظيم، فقد هاجر الهجرتين وشهد بدرا والمشاهد بعدها وكان فارسا يوم بدر حتى إنه لم يثبت أن أحدا كان فيها على فرس غيره.

في غزوة بدر: الأحداث تمر والزمان يتصرم لكن المواقف تبقى والتاريخ يسجلها، سلبية كانت أو إيجابية، كما أن المواقف ترسم لنا شخصية صاحبها، وتكشف عن سريرة الإنسان، فنجد أن المقداد رضي الله عنه من الذين سجل لهم التاريخ بجدارة تلك المواقف البطولية، في وقت تخاذل فيه الغير ممن يحاول كتّاب السلطة أن يُضفوا عليهم صبغة الشجاعة والرأي، فبعد أن أفلتت قافلة قريش بقيادة الطُلقاء، لم يبق سوى خيار المواجهة العسكرية مع جيش المشركين من قريش، فحاول النبي صلى الله عليه وآله أن يستكشف ويظهر ما أضمرت قلوب جيشه، وكان الوحي قد رسم لنا حالهم آنذاك بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ الأنفال:٧، فطلب منهم أن يتكلموا، فقام اثنان من المهاجرين- من الذين سُرقت لهم الألقاب وأُلصقت بهم فيما بعد- فتكلموا بكلام لا يناسب الإيمان والرجولة والبطولة وفيه تخذيل للمقاتلين، فأعرض عنهم صلى الله عليه وآله، فعندها قام صاحب المواقف البطولية النابعة من إيمان عميق وصدح بما يُرضي الله ورسوله، فكان لكلامه رضي الله عنه الأثر الواضح على نفوس المسلمين، مما حدى بالنبي صلى الله عليه وآله أن يثني عليه ويدعو له، وقد أوردت هذا الموقف مصادر المسلمين من الفريقين، كابن الأثير في أُسد الغابة ج٤، والطبري في تاريخه ج٢، والأمين في أعيانه ج١، واللفظ للأول حيث روى أنه قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد - يعني مدينة الحبشة - لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله خيراً، ودعا له بخير.

المقداد والقرآن: يعتبر المقداد من أوضح مصاديق بعض الآيات القرآنية، فقد ورد في تفسير البرهان، للبحراني ج٣،ص٦٨٨ عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾، قال: نزلت في أبي ذر، وسلمان الفارسي، والمقداد، وعمار بن ياسر، جعل الله لهم جنات الفردوس نزلا، أي مأوى ومنزلا، وذكر الحميري القمي المتوفى ٣٠٤ في قرب الإسناد: حدثنا جعفر، عن آبائه: أنه لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾ الشورى:٢٣، (قام رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أيها الناس إن الله تبارك وتعالى قد فرض لي عليكم فرضا، فهل أنتم مؤدوه؟ قال: فلم يجبه أحد منهم، فانصرف فلما كان من الغد قام فيهم فقال مثل ذلك، ثم قام فيهم فقال مثل ذلك في اليوم الثالث، فلم يتكلم أحد، فقال: يا أيها الناس، إنه ليس من ذهب ولا فضة ولا مطعم ولا مشرب، قالوا: فألقه إذا، قال: إن الله تبارك وتعالى أنزل عَليّ ﴿قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾، فقالوا: أما هذه فنعم، فقال أبو عبد الله: فوالله ما وفى بها إلا سبعة نفر: سلمان، وأبو ذر، وعمار، والمقداد بن الأسود الكندي، وجابر بن عبد الله الأنصاري ...)

كما ذكر المجلسي في بحاره، ج٢٢: عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن سلمان الفارسي فقال صلى الله عليه وآله: سلمان بحر العلم... قلت: فما تقول في المقداد؟ قال: وذاك منا، أبغض الله من أبغضه، وأحب من أحبه...

التمسك بحديث الثقلين: لقد عصفت بالأمة الإسلامية أحداث جسيمة قبيل شهادة النبي صلى الله عليه وآله وبعدها، أدت بشكل وآخر إلى انقلاب البعض وعدولهم عن الصراط المستقيم، وأظهروا مكامن الحقد وعدم الإيمان بما جاء به النبي صلى الله عليه وآله علنا وهذا لا ينكره أحد، فكانوا مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَائِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ آل عمران: ١٤٤، وفي المقابل هناك من ثبت على الميثاق وصدق ما عاهد عليه، وأفنى حياته في سبيل إعلاء كلمة الحق والذود عن حياض الإسلام، وكان مثالا للذين آمنوا، مطيعا لأمر النبي صلى الله عليه وآله، غير مجادل، فكان من الصادقين، ومصداقا للآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ الحجرات:١٥.

مواقف إيمانية: وله مواقف جليلة من بعد النبي صلى الله عليه وآله ناصر فيها أمير المؤمنين، وأنكر على المخالفين تولّيهم الخلافة، وعاش إلى أيام عثمان، وكان منابذاً له، (ابن ادريس في السرائرص٣٠)، حتى أن عثمان رماه بالشرك، فقد ورد في الكافي ج٨: عن أبي جعفر عليه السّلام قال: إن عثمان قال للمقداد أما والله لتنتهين أو لأردنك إلى ربك الأول، قال: فلما حضرت المقداد الوفاة قال لعمار أبلغ عثمان عني أني قد رُددت إلى ربي الأول.

من حكمته: اشتهر بالحكمة والبطولة والحب لله تعالى ورسوله وعترته عليهم السلام، ورد في مسند أحمد، ج٦: (... قال جلسنا إلى المقداد بن الأسود يوما فمر به رجل فقال طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله صلى الله عليه وآله والله لوددنا أنا رأينا ما رأيت وشهدنا ما شهدت فاستغضب فجعلت أعجب ما قال إلا خيرا ثم أقبل إليه فقال ما يحمل الرجل على أن يتمنى محضرا غيبه الله عنه لا يدرى لو شهده كيف كان يكون فيه والله لقد حضر رسول الله صلى الله عليه وآله أقوام أكبهم الله على مناخرهم في جهنم لم يجيبوه ولم يصدقوه أو لا تحمدون الله...).

وفاته: مات رحمه الله بالجرف على عشرة أميال من المدينة وحمل على رقاب الرجال، كانت وفاته بالمدينة في خلافة عثمان وكان عمره سبعين سنة، قال ابن حجر في الاصابة ج ٦ ص١٦١: اتفقوا على أنه مات سنة ثلاث وثلاثين في خلافة عثمان، وقال اليعقوبي في تاريخه ج٢ ص١٧١: وكان أوصى الى عمار بن ياسر، وصلى عليه، ولم يؤذن عثمان به- كما صلى على ابن مسعود - فاشتد غضب عثمان على عمار، وقال: ويلي على ابن السوداء ! أما لقد كنت به عليما، فلما بلغ عثمان موته، جاء حتى أتى قبره، يثني عليه خيراً ! فقال الزبير بن العوام:

لألفينك بعد المـوت تندبني
وفي حياتي ما زودتني زادي

راجع تاريخ دمشق لابن عساكر ج٦٠، معرضاً بالعداء الذي كان بينه وبين المقداد وأخباره كثيرة ومواقفه شهيرة، فسلام عليه يوم ولد ويوم يبعث حيا، والحمد لله وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وعنه عليه السلام : (عجبت لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء)

الأدب مع القرآن الكريم

في فجر سعادة البشر، وتبلج صبح الهدى ورسالته، أشرق نور القرآن الكريم من أُفق الوحي على الرّسول الأمين صلى الله عليه وآله، الصادع بأمر ربّه، فكان بإعجازه الباهر حجّة على صدق وحيه، وبفضائله الفائقة دليلاً على فضله، وبسَناه الوضّاح هادياً إلى إتّباعه، يخبرك كلّ باب من أبواب معارفه السّامية أنّه تنزيل من رب العالمين وبقاؤه على مرّ الدهور، مصوناً عن الزيادة والنقيصة والتغيير والتبديل، كما أخبر به تبارك وتعالى في قوله: ﴿... وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ× لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾سورة فصلت: آية٤١-٤٢.

لقد خصص علماء الحديث فصلاً كبيراً من كتبهم للمرويات التي تشيد بفضل القرآن ومكانته وتلاوته واقتنائه وحفظه، والاعتصام به، مما يؤكد حرص الأئمة عليهم السلام على تعظيمه وتقديسه والعمل به والاستفادة من حكمه وآدابه وتعاليمه، التي أحاطت بجميع نواحي الخير والفضيلة والأخلاق، وعالج جميع المشاكل ووضع لها الحلول التي تتناسب مع جميع العصور.

ولقد أكد القرآن والسنة النبوية الشريفة على هذه الحقيقة قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الإسراء: آية٩.

وعن النبي صلى الله عليه وآله : «إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن» الكافي: ج٢، ص٥٩٨.

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إن هذا القرآن فيه منار الهدى ومصابيح الدجى فليَجُل جال بصره، ويفتح للضياء نظره، فإن التفكر حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور» وسائل الشيعة: ج٦، ص١٧٠.

فينبغي للمؤمن أن يسير على خطى القران ونهجه القويم ويلتزم بتعاليمه وأحكامه ويتمسك بعروته الوثقى والتي نحن مأمورون بالتمسك بها، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا عَلَيَّ الحوض» وسائل الشيعة: ج٢٧، ص٣٣.

وفي حديث أخر قال صلى الله عليه وآله : «إني مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وأنهما لن يفترقا حتى يردا عَليّ الحوض، انظروا كيف تخلفوني» وسائل الشيعة: ج٢٧، ص١٨٨.

القرآن شفاء لما في الصدور:

إن الأمراض الروحية والأخلاقية لها شبه كبير بالأمراض الجسمية للإنسان، فكل منها يقتل، وكل منهما يحتاج إلى طبيب وعلاج ووقاية، والإثنان قد يسريان للآخرين، ويجب في كل منهما معرفة الأسباب الرئيسة ثم معالجتها.

فالقرآن يعتبر وصفة شفاء للذين يريدون محاربة الجهل والكبر والغرور والحسد والنفاق، ووصفة شفاء لمعالجة الضعف والذلة والخوف والاختلاف والفرقة، ووصفة شفاء للذين يئنّون من مرض حب الدنيا والارتباط بالمادة والشهوة، ووصفة شفاء لإزالة حُجُب الشهوات المظلمة التي تمنع من التقرب نحو الخالق عز وجل، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة يونس: آية٥٧، وقال عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ سورة فصلت: آية٤٤.

ولإمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام قول جامع في هذا المجال، حيث يقول عليه السلام : «فاستشفوه من أدوائكم واستعينوا به على لأوائكم، فإن فيه شفاء من أكبر الداء، وهو الكفر والنفاق والغي والضلال» نهج البلاغة: الخطبة ١٧٦.

ويصف عليه السلام في خطبة أخرى من خطبه

وعنه عليه السلام : (عجبت لمن نسي الموت وهو يرى من يموت)

الشريفة كتاب الله بقوله: «ألا إن فيه علم ما يأتي والحديث عن الماضي ودواء دائكم ونظم ما بينكم» نهج البلاغة: الخطبة ١٥٨.

وفي خطبة أخرى من نهج علي عليه السلام، نقرأ وصفا لكتاب الله يقول فيه عليه السلام: «وعليكم بكتاب الله فإنه الحبل المتين، والنور المبين، والشفاء النافع، والري الناقع، والعصمة للمتمسك، والنجاة للمتعلق، لا يعوج فيقام، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تخلقه كثرة الرد وولوج السمع، من قال به صدق، ومن عمل به سبق» نهج البلاغة: خطبة ١٥٦.

هذه التعابير العظيمة والبليغة، في كلمات الإمام علي عليه السلام هي دليل يثبت بدقة ووضوح أن القرآن وصفة لمعالجة كل المشاكل والصعوبات والأمراض الأخلاقية والاجتماعية، والأهم من ذلك أنها صدرت من صنو القران والناطق به.

الجميل في الأمر أن الأدوية التي تستخدم لشفاء الإنسان لها نتائج وتأثيرات عرضية حتمية لا يمكن توقيها أو الفرار منها، حتى أن الحديث المأثور يقول: «ما من دواء إلا ويهيج داء» الخصال: هامش صفحة٦٢٠.

أما هذا الدواء الشافي، كتاب الله الأعظم، فليست له أي آثار عرضية على الروح والأفكار الإنسانية، بل على العكس تماما فيه الخير والبركة والرحمة، ويؤيد ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام واصفاً القرآن الكريم: «شفاء لا تخشى أسقامه» نهج البلاغة: خطبة ١٩٨.

وأخيرا ينبغي القول: إن الوصفة القرآنية حالها حال الوصفات الأخرى، لا يمكن أن تعطي ثمارها وأُكُلَها من دون أن نعمل بها ونلتزمها بدقة، وإلا فإن قراءة وصفة الدواء مائة مرة لا تغني عن العمل بها شيئا، والسبيل الوحيد للعمل به هو عن طريق أهل البيت عليهم السلام فهم القرآن الناطق الذي يبين أحكام القرآن الصامت.

أدبنا مع القرآن الكريم:

وبعدما بينا ما للقرآن الكريم من مكانة سامية ومنزلة رفيعة لابد لنا من أن نحترمه ونقدسه أشد تقديس وذلك من خلال أمور:

١- إجلاله وتعظيمه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «القرآن أفضل من كل شيء دون الله فمن وقّر القرآن فقد وقّر الله ومن لم يُوقّر القرآن فقد استخف بحرمة الله» جامع الأخبار: ص٤٠.

٢- العمل بالقرآن قبل الغير: جاء في وصية أمير المؤمنين عليه السلام: «الله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم» نهج البلاغة: ص٤٢٠ وصية٤٧.

٣- قراءته بتدبر وخشوع: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر» الكافي: ج١، ص٣٦.

٤- وضعه في المكان المناسب له زيادة في الاحترام.

٥- ابتداء القراءة بقول: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ومن ثم البسملة: (بسم الله الرحمن الرحيم).

٦- الطهارة عند التلاوة، بأن يكون على وضوء.

٧- استقبال القبلة عند القراءة.

٨- قراءته ترتيلا: قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «حسنّوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً» عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج٢ ص٧٤.

٩- يتعلّم ويعلّم قراءة القرآن: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه» مستدرك الوسائل: ج٤، ص٢٣٥.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «حق الولد على الوالد: أن يحسن اسمه ويحسن أدبه ويعلّمه القرآن» نهج البلاغة: ص٥٤٦.

١٠- عدم هجر القرآن: قال الإمام الصادق عليه السلام: «ثلاثة يشكون إلى الله عز وجل: مسجد خراب لا يصلي فيه أهله، وعالم بين جهال، ومصحف معلق قد وقع عليه الغبار لا يقرأ فيه» الكافي: ج٢، ص٦١٣.

١١- قراءة القرآن من المصحف: عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «القراءة في المصحف أفضل من القراءة ظاهراً» جامع الأخبار: ص٤٨،

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «من قرأ القرآن في المصحف متع ببصره وخفف عن والديه وإن كانا كافرين» الكافي: ج٢، ص٦١٣،

وعنه عليه السلام: «النظر في المصحف عبادة» الكافي: ج٢، ص٦١٣.

١٢- المواظبة على قراءة القرآن خصوصاً في شهر رمضان: قال الإمام الباقر عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ خمسين آية كتب من الذاكرين، ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين، ومن قرأ مائتي آية كتب من الخاشعين، ومن قرأ ثلاثمائة آية كتب من الفائزين، ومن قرأ خمسمائة آية كتب من المجتهدين، ومن قرأ ألف آية كتب له قنطارا، والقنطار خمسمائة ألف مثقال ذهب والمثقال أربعة وعشرون قيراط أصغرها مثل جبل أحد وأكبرها ما بين السماء والأرض» ثواب الأعمال: ص١٠٣،

وعنه عليه السلام: «لكل شيء ربيع وربيع القرآن شهر رمضان» الكافي ج٢، ص٦٣٠.

١٣- الاستماع إلى قراءة القرآن: قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «قارئ القرآن والمستمع في الأجر سواء» مستدرك الوسائل: ج٤، ص٢٦١.

١٤- حفظ شيء من القرآن: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الذي ليس فيه جوفه شيء من القرآن كالبيت الخَرب» كنز العمال: ج١، ص٥١٢.

١٥- قراءة القرآن في البيوت: قال النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: «نوِّروا بيوتكم بتلاوة القرآن» الكافي: ج٢، ص٦١٠.

وعن الإمام علي عليه السلام: «البيت الذي يقرأ فيه القرآن ويذكر الله عز وجل فيه تكثر بركته وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين ويضيئ لأهل السماء كما تضيئ الكواكب لأهل الأرض، وإن البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن ولا يذكر الله عز وجل فيه تقل بركته وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين» الكافي: ج٢، ص٦١٠.

١٦- ينبغي أن يتصف حامل القرآن بالأخلاق الفاضلة: قال الإمام الصادق عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن أحق الناس بالتخشّع في السر والعلانية لَحامل القرآن وإن أحق الناس في السر والعلانية بالصلاة والصوم لَحامل القرآن، ثم نادى بأعلى صوته: يا حامل القرآن تواضع به يرفعك الله ولا تعزّز به فيذلك الله، يا حامل القرآن تزيّن به لله يزينك الله به ولا تزيّن به للناس فيشينك الله به، من ختم القرآن فكأنما أدرجت النبوة بين جنبيه ولكنه لا يوحى إليه، ومن جمع القرآن فَنَولُه لا يجهل مع من يجهل عليه ولا يغضب فيمن يغضب عليه ولا يحد فيمن يحد ولكنه يعفو ويصفح ويغفر ويحلم لتعظيم القرآن، ومن أوتي القرآن فظن أن أحدا من الناس أوتي أفضل مما أوتي، فقد عظّم ما حقّر الله وحقّر ما عظّم الله» الكافي: ج٢، ص٦٠٤.

١٧- عدم تفسير القرآن بالرأي: قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «قال الله جلّ جلاله: ما آمن بي من فسّر برأيه كلامي» وسائل الشيعة: ج٢٧، ص٤٥، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «إياك أن تفسّر القرآن برأيك حتى تفقهه عن العلماء» بحار الأنوار: ج٨٩، ص١٠٧.

وعنه عليه السلام: (عجبت لمن يرى أنه ينقص كل يوم في نفسه وعمره وهو لا يتأهب للموت)

مناسبات شهر شعبان

بدء وجوب الصيام:

في اليوم الثاني من شهر شعبان سنة (٢هـ) نزل فرض صيام شهر رمضان وآية فرض الصيام قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

وهذه الآية تدل على أن الصوم كان مفروضاً على من كان قبلنا، وهذا أمر مفروغ منه، وإنما الكلام في وقت وكيفية صيامهم.

قال الطبرسي: قوله تعالى: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ قيل فيه ثلاثة أقوال، أحسنها:

الأول: إنه كتب عليكم صيام أيام، كما كتب عليهم صيام أيام. وهو اختيار الجبائي وغيره.

والثاني: ما قاله لشعبي والحسن: إنه فُرض علينا شهر كما فُرض شهر رمضان على النصارى. إنما زادوا فيه، وحولوه إلى زمان الربيع.

والثالث: ما قاله الربيع والسدي: إنه كان الصوم من العتمة إلى العتمة، لا يحل بعد النوم مأكل ولا شرب ولا منكح، ثم نسخ والأول هو المعتمد.

ولادة الإمام الحسين عليه السلام:

في الثالث من شعبان المعظم سنة (٤هـ)، (وقيل: ٣هـ)، ولد سيد شباب أهل الجنة، وسيد الشهداء الإمام الغريب المظلوم أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام.

اسمه عليه السلام في التوراة شبير، وفي الإنجيل طاب، وكنيته: أبو عبد الله.

وأما ألقابه عليه السلام فهي: الشهيد السعيد، والسبط الثاني، والطيب، والوفي، والسيد، والزكي، والمبارك، والتابع لمرضاة الله، ولكن أعلاها رتبة ما لقبه رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله عنه وعن أخيه: «حسين سبط من الأسباط».

ويذكر في ولادته عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله أخذه وقد لف بخرقة فأذّن في أذنه اليمنى، وأقام في أذنه اليسرى فهبط جبرائيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله فقال: إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك: إن علياً بمنزلة هارون من موسى، فسمه باسم هارون، قال: ما كان اسمه؟ قال: شبير، قال: لساني عربي، قال سمّه الحسين، فسماه الحسين.

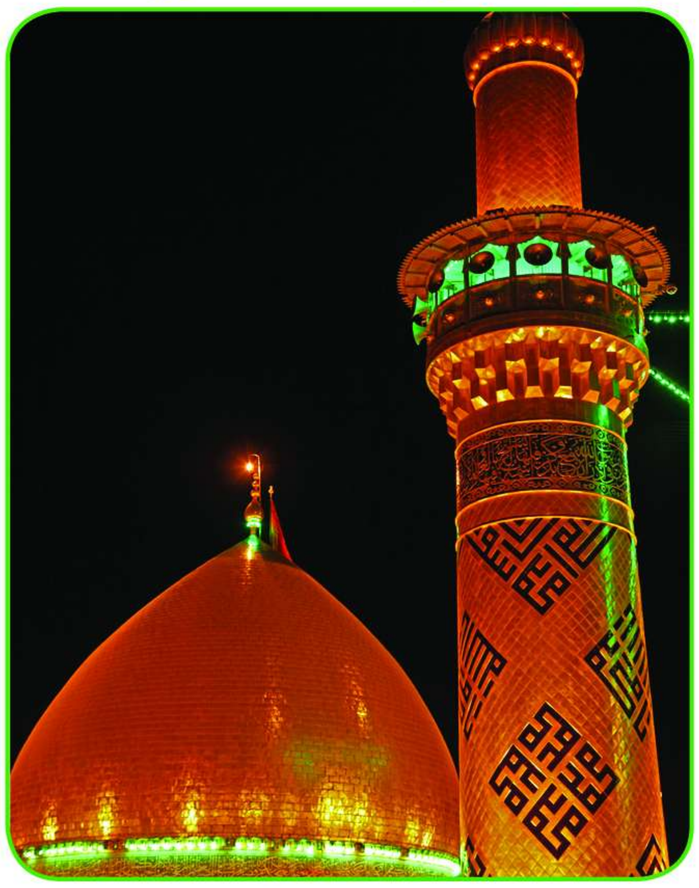

ولادة العباس بن علي بن أبي طالب عليهما السلام:

في اليوم الرابع من شهر شعبان المعظم سنة (٢٦هـ)، ولد أبو الفضل العباس بن علي بن أبي طالب عليهما السلام.

أمه: أم البنين فاطمة عليها السلام بنت حزام الكلابية.

من ألقابه: أبو الفضل، وقمر بني هاشم، وباب الحوائج، والسقّاء، وحامل اللواء.

وكان العباس رجلاً وسيماً جميلاً يركب الفرس المطهم ورجلاه تخطان في الأرض، وكان يقال له قمر بني هاشم، وكان لواء الحسين عليه السلام معه يوم قتل.

وسمي السقّاء، لأن الحسين عليه السلام عطش، وقد منعوه الماء، وأخذ العباس قربة ومضى نحو الماء واتبعه أخوته ولد علي عليه السلام: عثمان وجعفر وعبد الله، فكشفوا أصحاب عبيد الله بن زياد عن الماء، وملأ العباس القربة، وجاء بها فحملها على ظهره إلى الحسين عليه السلام وحده.

وأما فضائله فهي كثيرة فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «كان عمنا العباس بن علي نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أبي عبد الله وأبلى بلاءً حسناً، ومضى شهيداً».

قتل شهيداً بين يدي أبي عبد الله الحسين في كربلاء وكان عمره الشريف يومئذ ٣٤سنة.

ولادة الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام:

في اليوم الخامس من شهر شعبان سنة (٣٨هـ) ولد الإمام علي بن الحسين سيد الساجدين وزين العابدين عليه السلام، وذلك في أيام جده أمير المؤمنين عليه السلام وقبل وفاته بسنتين.

أمه شاه زنان، وقيل: شهربانويه بنت كسرى يزدجرد بن شهريار.

أشهر ألقابه عليه السلام: زين العابدين، والسجاد، وسيد الساجدين، وزين الصالحين، والخاشع، والمتهجد، والزاهد، والعابد، والعدل، والبكاء، وذو الثفنات ... وكنيته: أبو محمد.

عاش مع جده أمير المؤمنين عليه السلام سنتين، وبقية عمره الشريف مع عمه الحسن المجتبى عليه السلام وأبيه الحسين عليه السلام، وكان حاضراً مع أبيه الحسين عليه السلام وبقية أهل بيته في واقعة كربلاء، وشاهد مقتل أبيه وأعمامه عليهم السلام وأصحابهم رضوان الله تعالى عليهم. وأيضاً رافق السبي مع عمته زينب عليها السلام وبقية النساء والأطفال إلى الكوفة والشام، وخطب في الناس وأبان لهم عظم ما ارتكبوه بحق أهل البيت

وعنه عليه السلام : (عجبت لمن يحتمي عن الطعام لمضرته كيف لا يحتمي الذنب لأليم عقوبته)

العصمة الأطهار عليهم السلام .

وكان عليه السلام قد أخذ على عاتقه إتمام تحقيق أهداف الثورة الحسينية وإبقاءها حية في ضمير الأمة وكان يعيش تحت المراقبة الشديدة للأجهزة الأمنية الأموية فأفرج إلى الأمة مختلف معارف أهل البيت عليهم السلام عن طريق أدعيته المعروفة والمجموعة في كتاب الصحيفة السجادية الذي يعد دائرة معارف فكرية كاملة ولذا سمي بزبور آل محمد عليهم السلام .

ولادة علي الأكبر عليه السلام :

في اليوم الحادي عشر من شهر شعبان سنة (٣٣هـ)، ولد أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله علي الأكبر بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام .

أمه: ليلى بنت مرة بن عروة بن مسعود الثقفي.

كنيته: أبو الحسن، يدل عليه ما ينقل عن الإمام الصادق عليه السلام في زيارته بقوله عليه السلام : ثم صر إلى قبر علي بن الحسين، فهو عند رجلي الحسين بن علي عليهما السلام ، فإذا وقفت عليه فقل: السلام عليك يا بن رسول الله... إلى أن قال: ضع خدك على القبر وقل: صلى الله عليك يا أبا الحسن - ثلاثاً .

وكان عمره الشريف يوم شهادته عليه السلام ٢٧سنة.

ولادة بقية الله الأعظم عليه السلام :

في ليلة الجمعة الخامس عشر من شهر شعبان سنة (٢٥٥هـ)، ولادة خاتم الأوصياء، المنتقم لآل محمد صلى الله عليه وآله ، وآخر الأئمة بالحق، ولي الله وبقيته الحجة بن الحسن عليه السلام .

سئل الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن ليلة النصف من شعبان، فقال: هي ليلة يعتق فيها الرقاب من النار، ويغفر الذنوب فيها... وأكثر فيها من ذكر الله عز وجل ومن الاستغفار والدعاء، فإن أبي عليه السلام كان يقول: الدعاء فيها مستجاب..

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يعجبه أن يفرغ نفسه في أربع ليال من السنة: أول ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلة الفطر، وليلة النحر.

ويستحب في هذه الليلة الغسل، وإحياؤها بالصلاة والدعاء، وزيارة سيدنا ومولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام فقد روي عن الصادقين عليهم السلام أنهم قالوا: إذا كان ليلة النصف من شعبان نادى منادٍ من الأفق الأعلى: زائري قبر الحسين بن علي ارجعوا مغفور لكم، ثوابكم على ربكم ومحمد نبيكم.

قال: ومن لم يستطع زيارة الحسين عليه السلام في هذه الليلة فليزر غيره من الأئمة عليهم السلام ، فإن لم يتمكن من ذلك أومئ إليهم بالسلام وأحياها بالصلاة والدعاء.

ليلة ولادة الإمام عليه السلام :

روي ان الإمام الحسن العسكري عليه السلام أرسل إلى أخته حكيمة في ليلة ولادة ابنه الإمام الحجة (عجل الله فرجه) فما أن وُلد حتى أخذه أبوه عليه السلام فوضع يديه تحت إليتيه وظهره، ووضع قدميه على صدره، ثم أدلى لسانه في فيه وأمرّ يده على عينه ومفاصله، ثم قال: تكلم يا بني، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله ثم صلى على أمير المؤمنين وعلى الأئمة عليهم السلام إلى أن وقف على أبيه ثم أحجم.

ثم قال أبو محمد عليه السلام : يا عمة اذهبي به إلى أمه ليسلم عليها وائتني به، فذهبت به فسلم عليها، ورددته فوضعته في المجلس، ثم قال: يا عمة إذا كان يوم السابع فأتينا.

قالت: حكيمة: فلما أصبحت جئت لأسلم على أبي محمد عليه السلام وكشفت الستر لأتفقد سيدي عليه السلام فلم أره،... فقال: يا عمة استودعناه الذي استودعته أم موسى عليه السلام .

قالت حكيمة: فلما كان في اليوم السابع جئت فسلمت وجلست، فقال: هلمّي إليّ ابني، فجئت بسيدي عليه السلام في الخرقة، ففعل به كفعلته الأولى.. ثم قال: تكلم يا بني، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وثنى بالصلاة على محمد وعلى علي أمير المؤمنين وعلى الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين حتى وقف على أبيه، ثم تلا هذه الآية: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: آية٥٠).

وكان الإمام الحسن العسكري عليه السلام قد عرضه على أصحابه، وقال لهم: هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم، وأطيعوه فلا تتفرقوا من بعدي تهلكوا في أديانكم، أما إنكم لن تروه بعد يومكم هذا، فغيبه ولم يظهره.

غزوة بني المصطلق:

في اليوم التاسع عشر من شهر شعبان سنة (٥هـ)، (وقيل: ٦هـ)، وقعت غزوة بني المصطلق.

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله بلغه أن بني المصطلق يجمعون لحربه، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار، فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وآله خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له: المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل، فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق ، وقتل منهم من قتل، ونفل رسول الله صلى الله عليه وآله أبناءهم ونساءهم وأموالهم.

وكان ممن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، وكان شعار المسلمين يوم بني المصطلق: (يا منصور أمت)، وكان الذي سبى جويرية أمير المؤمنين عليه السلام فجاء بها إلى النبي صلى الله عليه وآله فاصطفاها النبي صلى الله عليه وآله ، فجاء أبوها إلى النبي صلى الله عليه وآله بعد إسلام بقية القوم، فقال: يا رسول الله إن ابنتي لا تسبى، لأنها امرأة كريمة، فقال له: اذهب إليها فخيرها، قال: أحسنت وأجملت، وجاء إليها أبوها فقال لها: يا بنية لا تفضحي قومك، فقالت: اخترت الله ورسوله، فقال لها أبوها: فعل الله بك وفعل، فأعتقها رسول الله صلى الله عليه وآله وجعلها في جملة أزواجه فأطلق المسلمون ما بأيديهم من الأسرى إكراماً لمكانها من رسول الله صلى الله عليه وآله .

وعنه عليه السلام : (عجبت لمن يتكلم فيما إن حكي عنه ضره وإن لم يحك عنه لم ينفعه)

قصة صياد السمك

كان هناك صياد سمك جادّ في عمله يصيد في اليوم سمكة فتبقى في بيته ما شاء الله أن تبقى حتى إذا انتهت ذهب إلى الشاطئ ليصطاد سمكة أخرى... في ذات يوم وبينما كانت زوجة الصياد تقطع ما اصطاده زوجها إذا بها ترى أمراً عجباً، رأت في بطن تلك السمكة لؤلؤة... تعجبت، لؤلؤة في بطن سمكة؟!! سبحان الله.

- زوجي .. زوجي .. أنظر ماذا وجدت
- ماذا؟
- إنها لؤلؤة لؤلؤة،
- لؤلؤة!!
- في بطن السمكة
- يا لك من زوجة رائعة .. أحضريها لعلنا نقتات بها يومنا هذا ونأكل شيئا غير السمك، أخذ الصياد اللؤلؤة وذهب بها إلى بائع اللؤلؤ في البلدة، نظر إليها التاجر، وقال: يااااااه .. إنها لؤلؤة نادرة ولا تقدر بثمن، وأنا لا استطيع أن أشتريها، فلو بعت دكاني وبيتي ما أحضرت لك ثمنها، لكن اذهب إلى شيخ الباعة في المدينة لعله يستطيع أن يشتريها منك.

أخذ صاحبنا لؤلؤته وذهب بها إلى البائع الكبير في المدينة وعرض عليه اللؤلؤة، فقال له التاجر الكبير وهو ينظر إليها: الله .. والله يا أخي إن ما تملكه لا يقدر بثمن، ولا يستطيع حتى مَن هو مثلي شرائها، لكني وجدت لك حلا، إذهب إلى والي المدينة فهو القادر على شراء مثل هذه اللؤلؤة.

وعند باب قصر الوالي وقف صاحبنا ومعه كنزه الثمين ينتظر الإذن له بالدخول، فلما دخل وقص على الوالي قصته وأراه درته الثمينة، قال الوالي: الله .. إن مثل هذه اللآلئ هو ما أبحث عنه .. لا أعرف كيف أقدر لك ثمنها، لكني سأسمح لك بدخول خزنتي الخاصة، وستبقى فيها ست ساعات فخذ منها ما تشاء، وهذا هو ثمن اللؤلؤة.

- سيدي لعلك تجعلها ساعتين، فست ساعات كثيرة على صياد مثلي.

قال الوالي: لا بل ست ساعات كاملة، لتأخذ من الخزنة ما تشاء، دخل صاحبنا خزنة الوالي وإذا به يرى منظراً مهولاً، غرفة كبيرة جداً مقسمة إلى ثلاثة أقسام: قسم مليء بالجواهر والذهب واللآلئ، وقسم به فراش وثير لو نظر إليه نظرة نام من الراحة، وقسم به جميع ما يشتهي من الأكل والشرب.

قال الصياد محدثاً نفسه: ست ساعات؟ إنها كثيرة جداً على صياد بسيط الحال مثلي، ماذا سأفعل في ست ساعات؟ حسناً سأبدأ بالطعام الموجود في القسم الثالث سآكل حتى املأ بطني حتى أستزيد بالطاقة التي تمكنني من جمع أكبر قدر من الذهب.

ذهب صاحبنا إلى القسم الثالث وقضى ساعتين من الوقت يأكل ويأكل، حتى إذا انتهت الساعتان ذهب إلى القسم الأول، وفي طريقه رأى ذلك الفراش الوثير، فحدث نفسه قائلا: الآن أكلت حتى شبعت، فمالي لا أستزيد بالنوم الذي يمنحني الطاقة التي تمكنني من جمع أكبر قدر ممكن، هي فرصة لن تتكرر، فأي غباء يجعلني أضيعها، ذهب الصياد إلى الفراش فاستلقى وغط في نوم عميق، وبعد مدة من الزمن، سمع صوت الحرس: قم قم أيها الصياد الأحمق لقد انتهت المهلة.

قال الصياد: هاه ماذا؟

- نعم .. هيا إلى الخارج.

- أرجوكم ما أخذت الفرصة الكافية، ضحك الحراس وقالوا: هاه هاه ست ساعات وأنت في هذه الخزنة، والآن أفقت من غفلتك تريد الاستزادة من الجواهر!! أما كان لك أن تشتغل بجمع كل هذه الجواهر، حتى تخرج إلى الخارج فتشتري لك أفضل الطعام وأجوده وتصنع لك أروع الفرش وأنعمها، لكنك أحمق غافل لا تفكر إلا في المحيط الذي أنت فيه .. خذوه إلى الخارج.

صرخ الصياد: لا لا أرجوكم أرجوكم ... لاااا !!!!

نبارك للأمة الإسلامية مولد الأنوار الأربعة

قسم الشؤون الدينية / شعبة التبليغ

قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ

أسبوع التوبة

قال الإمام الصادق عليه السلام

لا صغيرة مع الإصرار
ولا كبيرة مع الإستغفار

الكافي ج ٢ / ص ٢٨٨

استعداداً لاستقبال شهر رمضان المبارك، بنفوس صافية وأرواح طاهرة لتنهل من عذبه الصافي وتتزود من موائده الملاء

تقيم العتبة العلوية المقدسة اسبوع التوبة آخر شهر شعبان من كل سنة

الذي يتضمن مجموعة من البرامج الدينية والإصدارات والمحاضرات بالمناسبة

للتواصل مع شعبة التبليغ مراسلتنا عبر العناوين الآتية

www.imamali-a.com
tableegh@imamali.net
07700554186

قسم الشؤون الدينية / شعبة التبليغ